كتاب الهلال

سلسلة
ثقافية
شهرية

أشعار وشعراء من المهجر

محمد عبد الغني حسن



كتاب الهلال

KITAB AL-HILAL

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »

العدد ٢٦٦ - محرم ١٣٩٣ - فبراير ١٩٧٣

No. 266 — Février 1973

مركز الادارة

دار الهلال ١٦ محمد عز العرب
تليفون ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى : (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية وبلاد اتحادى البريد العربى والافريقى ١٠٠ قرش صاغ - فى سائر انحاء العالم ٥ر٥ دولارات امريكية او ٢ جنيه - والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . فى الخارج بشيك مصرفى قابل للصرف فى جمهورية مصر العربية - والاسعار الموضحة أعلاه بالبريد العادى

كتاب الهلال

سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

الغلاف بريشة
الفنان جمال قطب

محمد عبد الغني حسن

أشعار وشعراء من المهجر

دار الهلال

الشاعر

عندما ابدع هذا الكون رب العالمينا
ورأى كل الذى فيه جميلا . ونمينا
خلق الشاعر كى يخلق للناس عيونا
تبصر الحسن وتهواه حراكا وسكونا
وزمانا ومكانا وشخوصا وشئونا
فارتقى الخلق ، وكانوا قبله لا يرتقونا
واستمر الحسن فى الدنيا ودام الحب فينا ..!

ايليا ابو ماضى

الفصل الاول

شعراء المهجر الشّمالي

إيليا أبو ماضي

١٨٨٩ – ١٩٥٧

هناك فى قرية « المحيدثة » ، من اعمال لبنان كانت الدنيا تتطلع لتستقبل مولد شاعر كتب له أن يسمع العالم الجديد اصواتا صافية من العالم القديم ، وكانت سنة ١٨٨٩ هى السنة التى حملت الى العالم نبأ هذا النجم الذى لم يكن احد ليدرى انه سيحتل مكان

الزعامة فى شعر المهجر وقد اسلس الشعر له قياده وهو على ابواب البلوغ ، ولم يكد يبلغ الحادية عشرة من عمره حتى هاجر الى مصر سنة ١٩٠٠ ، فما وافت سنه العشرين حتى كان يحرر فى بعض الصحف والمجلات بمصر ، الى ان جاءت سنة ١٩١١ فتحركت فيه نوازع الهجرة الى العالم الجديد ، فقصد الولايات المتحدة ، واقام فى سنسناتى . وفى صيف سنة ١٩٢٦

انتقل الى نيويورك ليعمل فى الميدان الادبى . ولما انشئت « الرابطة القلمية » فى نيويورك برياسة جبران خليل جبران كان ابو ماضى من أنصارها العاملين ، وان لم يكن من الذين حضروا أول اجتماعاتها فى ابريل سنة ١٩٢٠.

وفى ابريل سنة ١٩٢٩ انشأ المترجم له جريدة « السمير » بنيويورك ، وكانت تصدر حافلة بنفثات

يراعته ويراع المعاونين له فى تحريرها ، ويتوج صدر مجلة « السمير » بيتان من الشعر هما أصدق تعبير عن روح المترجم له وعاطفته الادبية يقول فيهما

أنا لا أهدى اليكم ورقا
غيركم يرضى بحبر وورق
انما أهدى الى أرواحكم
فكرا تبقى اذا الطرس احترق

ويشهد مؤرخ « تاريخ الصحافة العربية » بأن مجلة « السمير » تعد فى هذا الزمان من أوسع المجلات العربية انتشارا فى العالم الجديد (١) !..

وفى سنة ١٩٥٧ وقبيل وفاة ابى ماضي بقليل احتجبت مجلة « السمير » ، وبيعت مطابعها ومكاتبها وحروفها .

واول ديوان من الشعر ظهر لابى ماضي هو « تذكار الماضى » (٢) الذى طبع بالاسكندرية سنة ١٩١١ حينما كانت سن الشاعر اثنين وعشرين عاما ، ويشمل القصائد التى نظمها فى مصر . وبعد هجرته الى أمريكا بخمس سنوات نشر الجزء الثانى من ديوانه ، بعنوان « ديوان ايليا ابو ماضى » وطبع فى نيويورك سنة ١٩١٦ ، ويحتوى على مجموعة من شعر التأملات والشعر الوطنى والقصص الشعرى الغرامى . وفى سنة ١٩٢٧ نشر ديوان « الجداول » الذى طبع فى مطبعة « مرآة الغرب » بنيويورك ، وكتب مقدمته الشاعر ميخائيل نعيمة قائلا فيها : « فبين هذه الجداول ما تنساب معه روحى مترقرقة ، مترنمة ، مطمئنة ، جذلة بنور فى عينيها ، وجمال فى جانبيها . مرحة بحرية لا أرصاد عليها ولا قيود ، ومدى لا آفاق له ولا حدود»

(١) تاريخ الصحافة العربية : لطرازى ج ٤ ص ٤٢٩
(٢) معجم المطبوعات العربية ليوسف سركيس ج ١ ص ٣٤٤

فكانت أكرم واصدق تحية من شاعر الى شاعر .

وفى سنة ١٩٤٦ ظهر للمترجم له ديوان « الخمائل » فلقى من الرواج والترحيب ما اقتضى اعادة طبعه فى زمن يسير . أما ديوانه « تبر وتراب » فقد نشر بعد وفاته بهمة شقيقه مراد وصديقه الوفى الشاعر جورج صيدح ، وقد انعقد الاجماع على ان ايليا أبا ماضى هو بلا جدال أمير شعراء العرب فى المهجر لو بقى فى دولة الشعر امراء ! !

واقيم للشاعر ابى ماضى حفلان لتأبينه ، كان أولهما فى بيروت فى يناير سنة ١٩٥٨ ، وثانيهما فى النادى العربى بدمشق فى الشهر نفسه . وقد ابدع الشاعر جورج صيدح فى رثائه بمطولة جيدة يقول فيها :

يا شاعرى ما زال أنضاء السرى
يترسمون خيالك الوثابا
فى «الدمعة الخرساء» فى « العنقاء »
فى « الطين » الذى لبس النضار ثيابا
فى رقرقات سحابة مسحورة
فى رفرفات فراشة تتصابى !
فى بسمة رفت على شفة المنى
واستقطرت شهد الحياة رضابا ..

باقة من اشعاره

ابتسم

قال : السماء كئيبة وتجهما
قلت ابتسم يكفى التجهم فى السما
قال الصبا ولى فقلت له : ابتسم
لن يرجع الاسف الصبا المتصرما ..
قال : التى كانت سمائى فى الهوى
صارت لنفسى فى الغرام جهنما
خانت عهودى بعد ما ملكتها
قلبى ، فكيف يطيق ان اتبسما ؟

قلت ابتسم واطرب فلو قارنتها
قضيت عمرك كله متالما
قال التجارة فى صراع هائل
مثل المسافر كاد يقتله الظما
او غادة مسلولة محتاجة
لدم وتنفث كلما لهثت دما
قلت : ابتسم ما انت جالب دائها
وشفائها ، فاذا ابتسمت فربما ...

ايكون غيرك مجرما وتبيت فى
وجل كانك انت صرت المجرما ؟

قال العـدا حولى علت صيحاتهم
أأسر والاعداء حولى فى الحمى ؟
قلت ابتســم ، لم يطلبوك بذمهم
لو لم تكن منهم اجل واعظما !

***

قال المواسم قد بدت أعلامها
وتعرضت لى فى الملابس والدمى
وعلى للأحبـــاب فرض لازم
لـكن كفى ليس تملك درهمـا
قلت ابتسم يكفيك انك لم تزل
حيـا ، ولست من الاحبة معـدما ؟

***

قال الليـالى جرعتنى علقما
قلت ابتسم ولئن جرعت علقما !
فلعـــل غيرك ان رآك مرنما
طرح الـكآبة جانبا وترنما

اتراك تغنم بالتبرم درهمـــا
ام أنت تخسر بالبشاشـــة مغنما ؟

يا صاح ! لا خطر على شـفتيك ان
تتثلما ، والوجـه ان يتحطمـا
فاضحك! فان الشهب تضحك والدجى
متـــلاطم ، ولذا نحب الانجما

قال البشاشـة ليس تسـعد كائنا
يأتى الى الدنيا ويذهب مرغما
قلت ابتسم ما دام بينـك والردى
شبر ، فانك بعد لن تتبسما !

الـــكريم

قالوا الا تصف الـكريـ ... ـم لنا ؟ فقلت على البديه
ان الــكريم لـكالربيـ ... ـع تحبه للحسن فيه
وتهش عنـد لقـائه ... ويغيب عنك فتشتهيه
لا يرتضى أبدا لصـا ... حبه الذى لا يرتضيه
واذا الليـالى ساعفتـ ... ـه لا يذل ولا يتيه
وتراه يبســم هازئا ... فى غمرة الخطب الكريه
واذا تحرق حاسـدو ... ه بكي ورق لحاسديه
كالورد ينفح بالشـذى ... حتى انوف السارقيه...

الطين

نسى الطين ساعة انه طيـ
ـن حقير فصال تيها وعربد
وكسا الخز جســمه فتباهى
وحوى المـال كيســه فتمرد
يا أخى ! لا تمل بوجهك عنى
ما انا فحمـة ولا انت فرقـد
انت لم تصنع الحرير الذى تلـ
ـبس واللؤلؤ الذى تتقـــلد
انت لا تأكل النضار اذا جعـ
ـت ولا تشرب الجمان المنضد
انت فى البردة الموشـاة مثلى
فى كسائى الرديم تشقى وتسعد
لك فى عالم النهـــار أمان
ورؤى ، والظلام فوقك ممتد

ولقلبى كما لقلبك احلا
م حسان فانه غير جلمد ...

***

امانى كلها من تراب
وامانيك كلها من عسجد ؟
وامانى كلها للتلاشى
وامانيك للخلود المؤكد ؟
لا ! فهذى وتلك تأتى وتمضى
كذويها ، واى شىء يؤبد ؟

ايها المزدهى اذا مسك السقـ
ـم الا تشتكى ؟ الا تتنهد ؟
واذا راعك الحبيب بهجر
ودعتك الذكرى الا تتوجد ؟
انت مثلى يهش وجهك للنعـ
ـمى رفى حالة المصيبة يكمد
ادموعى خل ودمعك شهد
وبكائى ذل ونوحك سؤدد ؟

وابتسامى السراب لا رى فيه
وابتساماتك اللآلى الخرد ؟
فلك واحد يظل كلينا
حار طرفى به وطرفك ارمد
قمر واحد يطل علينا
وعلى الكوخ والبناء الموطد

ان يكن مشرقا لعينيك انى
لا اراه من كوة الكوخ اسود
النجوم التى تراها اراها
حين تخفى وعند ما تتوقد

لست ادنى ـ على غناك ـ اليها
وانا مع خصاصتى لست أبعد

***

انت مثلى من الثرى واليه
فلماذا يا صاحبى التيه والصد
كنت طفلا اذ كنت طفلا وتغدو
حين اغدو شيخا كبيرا أدرد
لست ادرى من اين جئت ولا ما
كنت ، أو ما اكون يا صاح فى غد
افتدرى ! اذن فخبر والا
فلماذا تظن أنك أوحد ؟
الك القصر دونه الحرس الشا
كى ومن حوله الجدار المشيد ؟
فامنع الليل أن يمد رواقا
فوقه ، والضباب أن يتلبد
وانظر النور كيف يدخل لا يطـ
ـلب اذنا ، فما له ليس يطرد ؟
مرقد واحد نصيبك منه
أفتدرى كم فيك للذر مرقد ؟
ذدتنى عنه والعواصف تعدو
فى طلابى والجو أقتم اربد
بينما الكلب واجد فيه مأوى
وطعاما ، والهر كالكلب يرفد
فسمعت الحياة تضحك منى
اترجى ، ومنك تأبى وتجحد

***

ألك الروضة الجميلة فيها الـ
ـماء والطير والازاهر والند ؟

فازجر الريح أن تهز وتلوى
شجر الروض .. انه يتأود
والجم الماء فى الغدير ومره
لا يصفق الا وانت بمشهد
ان طير الاراك ليس يبالى
انت اصفيت ام انا ان غرد
والازاهير ليس تسخر من فقـ
ـرى ولا فيك للغنى تتورد ...
ألك النهر ؟ انه للنسيم الر
طب درب وللعصافير مورد
وهو للشهب تستحم به فى الصـ
ـيف ليلا كأنها تتبرد ..
تدعيه ، فهل بأمرك يجرى
فى عروق الاشجار او يتجعد ؟
كان من قبل أن تجىء وتمضى
وهو باق فى الارض للجزر والمد

***

الك الحقل ؟ هذه النحل تجنى الشـ
ـهد من زهره ولا تتردد ؟
وأرى للنمال ملكا كبيرا
قد بنته بالكدح فيه وبالكد
انت فى شرعها دخيل على الحقـ
ـل ولص جنى عليها فأفسد
لو ملكت الحقول فى الارض طرا
لم تكن من فراشة الحقل اسعد
أجميل ؟ ما انت أبهى من الور
دة ذات الشذى ولا انت اجود
أم عزيز ؟ وللبعوضة من خد

يك قوت وفى يديك المهنـد !
أم غنى ؟ هيهات تختال ، لولا
دودة القز ، بالحبـاء المبجـد
أم قوى ؟ اذن مر النوم اذ يغـ
شاك والليل عن جفونك يرتد
وامنع الشـيب ان يلم بفوديـ
ك ومر تلبث النضارة فى الخد
أعليم ؟ فما الخيال الذى يطـ
ـرق نيلا ؟ فى اى دنيا يولد ؟
ما الحيـاة ألتى تبين وتخفى ؟
ما الزمان ألذى يذم ويحمد ؟
أيها الطين ! لست أنقى واسمى
من تراب تدوس او تتوسـد
سدت او لم تسد فما أنت الا
حيـوان مسـير مستعبـد
ان قصرا سمكته سـوف يندك
وثوبا حبكته سـوف ينقد
لا يكن للخصام قلبـك مأوى
ان قلبى للحب اصـبح معبد
انا أولى بالحب منـك واحرى
من كساء يبلى ، ومال ينفد

هى

أروى لكم عن شاعر سـاحر
حكاية يحمـــد راويها
قال دعا أصحابه سـيد
فى ليـلة رقت حواشيـها

فانتظمت في قصره عصبة
كريمة لا واغل فيها
من نبلاء الشعب ساداتها
وخيرة الغيد غوانيها

حتى اذا ما جلسوا كلهم
وطاف بالاكواب ساقيها
قام أمير القصر في كفه
كأس أعارته معانيها
وقال يا صحب على ذكركم
املؤها حباً راحسوها
وذكر من قلبي عبد لها
ومهجتي احدى جواريها
حبيبتي « لمياء » سميتها
ولم أكن قبلا اسميها
فشربوا كلهم سرها
وهتفوا كلهم تيها
فاجزل الشكر لاصحابه
الشكر للنعمة يبقيها

وصاح بالساقي علينا بها
فطاف بالاكواب ساقيها
وقال للأضياف : سمعا ! فلي
كلمة ، العدل يمليها
ما أنا وحدي الصب فيكم ولا
كل العذارى من اناجيها
فكل نفس مثل نفسي لها
في هذه الدنيا أمانيها
وكل قلب مثل قلبي له
حسناء ترجوه ويرجوها

يا صحب من كانت به صبوة
يعلنهــــا الآن ويبــــديها
فنهضــــوا ثانيــــة كلهم
ورفعوا الــكاســـات تنويها
كلهم يشــرب ســر التى
يهوى من العيــــد ويطريها

***

وكان فى الشرب فتى باسل
طلعتــــه تســحر رائيهــا
شــارك فى اول أقــداحهم
ولم يشــــاركهم بثانيهـــا
وانت ؟ قال الصحب واستضحكوا
هل لك حســـناء نحييها ؟
قال اجل ؛ اشرب سـر التى
بالروح تفـــدينى وافـــديها
صـــورتها فى القلب مطبوعة
لا شيء حتى الموت يمحـــوها
لا تترصــــانى رياء ، ولا
تلثمنى كذبا وتمويهـــــــا
يضــيع مالى ويزول الصبا
وحبهـــا باق وحبيهـــا
قد وهبتنى روحهــــا كلها
ولم تخف انى أضـــحيها
ســـر التى لا غادة بينكم
مهما سـمت فى الحب تحكيها
فاجفلوا منه كمن حيــــة
نهاشــــة قد عز راقيهـــا
وقالت الفـــادات آف له

قد شـــوه المجلس تشويها
لو ظـل فيمـا بيننـا صـامتا
لم تســـمع الآذان مكروها
وقلقل الفتيـــــان أسيافهم

فأوشكت تبـــدو حواشـيها
وتعتع الشـــــادى بألحانه
وماجت الـــدار بمن فيهـــا
وقال قوم خبلتــــه الطـلا

وقال قوم صـــار معتوها
فصاح رب الدار يا سيدى
وصـــفتها ، لم لا تسميها ؟

اتخجل باسم من تهوى ؟
احســـناء بغير اسم ؟

فاطـــرق غـــير مكترث
وتمتم خاشعا امى ...

كن بلسما

كن بلسما ان صار دهرك ارقما
وحـلاوة ان صـار غيرك علقما
ان الحيـاة حبتـك كل كنوزها
لا تبخلن على الحياة ببعض ما
احسن وان لم تجز حتى بالثنـا
اى الجزاء الغيث يبغى ان همى ؟

من ذا يكافىء زهـرة فواحـة
او من يثيب البلبـل المترنما ؟

عد الكرام المحسنين وقسهم
بهما تجد هذين منهم اكرما
يا صاح خذ علم المحبة عنهما
أني وجدت الحب علما قيما

لو لم تفح هذي ، وهذا ما شدا
عاشت مذممة وعاش مذمما
ايقظ شعورك بالمحبة ان غفا
لولا شعور الناس كانوا كالدمى
أحبب فيغدو الكوخ كوخا نيرا
وابغض فيمسى الكوخ سجنا مظلما

ما الكاس ، لولا الخمر ، غير زجاجة
والمرء ، لولا الحب ، الا أعظما
كره الدجى فاسود الا شهبه
بقيت لتضحك منه كيف تجهما
لو تعشق البيداء أصبح رملها
زهرا ، وصار سرابها الخداع ما

لو لم يكن فى الارض الا مبغض
لتبرمت بوجوده وتبرما
لاح الجمال لذى نهى فأحبه
ورآه ذو جهل فظن ورجما
لا تطلبن محبة من جاهل
المرء ليس يحب حتى يفهما

وارفق بأبناء الغباء كأنهم
مرضى ، فان الجهل شيء كالعمى
واله بورد الروض عن أشواكه
وانس العقارب ان رأيت الانجما

كم تشتكي

كم تشتكي وتقول انك معدم
والارض ملكك والسما والانجم ؟
ولك الحقول وزهرها واريجها
ونسيمها والبلبل المترنم

والماء حولك فضة رقراقة
والشمس فوقك عسجد يتضرم
والنور يبني في السفوح وفي الذرى
دورا مزخرفة وحينا يهدم
فكأنه الفنان يعرض عابثا
آياته قدام من يتعلم .

وكأنه لصفائه وسنائه
بحر تعوم به الطيور الحوم
هشت لك الدنيا فمالك واجما
وتبسمت فعلام لا تتبسم ؟

ان كنت مكتئبا لعز قد مضى
هيهات يرجعه اليك تندم
او كنت تشفق من حلول مصيبة
هيهات يمنع أن تحل تجهم

او كنت جاوزت الشباب فلا تقل
شاخ الزمان فانه لا يهرم
انظر فما زالت تطل من الثرى
صور تكاد لحسنها تتكلم

ما بين اشجار كأن غصونها
أيد تصفق تارة وتسلم

وعيون ماء دافقات فى الثرى
تشفى السقيم كأنما هى زمزم !
ومسارح فتن النسيم جمالها
فسرى يدندن تارة ويهمهم ..

فكأنه صب بباب حبيبة
متوسل ، مستعطف ، مسترحم
والجدول الجذلان يضحك لاهيا
والنرجس الولهان مغف بحلم
وعلى الصعيد ملاءة من سندس
وعلى الهضاب لكل حسن ميسم
فهنا مكان بالاريج معطر
وهناك طود بالشعاع معمم
صور وآيات تفيض بشاشة
حتى كأن الله فيها يبسم !

فامش بعقلك فوقها متفهما
ان الملاحة ملك من يتفهم
اتزور روحك جنة فتفوتها
كيما تزورك بالظنون جهنم ؟
وترى الحقيقة هيكلا متجسدا
فتعافها لوساوس تتوهم ؟
يا من يحن الى غد فى يومه
قد بعت ما تدرى بما لا تعلم

فلسفة الحياه

أيهذا الشاكى وما بك داء
كيف تغدو اذا غدوت عليلا ؟

ان شر الجناة فى الارض نفس
تتوقى قبل الرحيل ، رحيلا
وترى الشوك فى الورود وتعمى
ان ترى فوقها الندى اكليلا
هو عبء على الحياة ثقيل
من يظن الحياة عبئا ثقيلا
والذى نفسه بغير جمال
لا يرى فى الوجود شيئا جميلا

ليس اشقى ممن يرى العيش مرا
ويظن اللذات فيه فضولا
أحكم الناس فى الحياة أناس
عللوها فأحسنوا التعليلا
فتمتع بالصبح ما دمت فيه
لا تخف أن يزول حتى يزولا
واذا ما أظل رأسك هم
قصر البحث فيه كيلا يطولا
ادركت كنهها طيور الروابى
فمن العار ان تظل جهولا

ما تراها ــ والحقل ملك سواها ــ
تخذت فيه مسرحا ومقيلا
تتغنى ، والصقر قد ملك الجو
عليها ، والصائدون السبيلا
تتغنى ، وقد رأت بعضها يؤ
خذ حيا ، والبعض يقضى قتيلا
تتغنى ، وعمرها بعض عام
أفتبكى وقد تعيش طويلا ؟

فهى فوق الغصون فى الفجر تتلو
سور الوجد والهوى ترتيلا

وهي طورا على الثرى واقفات
تلقط الحب أو تجر الذيولا !

كلما أمسك الغصـــون سكون
صفقت للغصـــون حتى تميلا
فاذا ذهب الاصــــيل الروابى
وقفت فوقها نناجى الاصيــــلا
فاطلب اللهو مثلما تطلب الاطـ
ـيار عنـد الهجير ظلا ظليــلا
وتعلم حب الطبيعة منهــــــا
واترك القـــال للورى والقيــلا
فالذى يتقى العـــــواذل يلقى
كل حين فى كل شخص عذولا

***

انت للأرض أولا وأخـــــيرا
كنت ملكا ، أم كنت عبدا ذليــلا
لا خلود تحت الســـماء لحى
فلمـــاذا تراود المستحيلا ؟

كل نجم الى الافول ، ولـكن
آفـة النجم أن يخـاف الافولا

وطن النجوم

وطن النجوم . . انا هنا
حـــدق اتذكر من انا ؟

المحت فى الماضى البعيـ
ـد فتى غريرا أرعنــــا

جـذلان يمرح فى حـقو
لك كالنسيـــم مدندنا
المقتـــنى الملوك ملـ
ـعبه وغـــير المقتنى !

يتسـلق الاشـجار لا
ضـجرا يحس ولا ونى
ويعود بالاغصـــان يبـ
ـريها سيوفا ، او قنـا
ويخوض فى وحل الشـتا
متهللا متيمنـــا .

لا يتقى شـر العيــو
ن ولا يخاف الالســنا
ولـكم تشـيطن كى يقو
ل الناس عنه تشيطنا .
انا ذلك الولـــد الذى
دنيــاه كانت ههنـا !

انا من ميـــاهك قطـرة
فاضت جداول من سـنا
انا من ترابــك ذرة
ماجـت مواكب من منى
انا من طيـــورك بلبل
غنى بمجـــدك فاغتنى
حمـل الطـلاقة والبشـا
شـة من ربوعك للدنى
كم عانقـــت روحى ربا
ك وصـفقت فى المنحنى !
للأرز يهـــزأ بالريا
ح وبالدهور وبالفنـــا

للبحر ينشــــــــره بنو
ك حضـــــــارة وتمدنا
لليل فيك مصليـــــــــا
للصـــــــبح فيك مؤذنا

للشـــــمس تبطىء فى ودا
ع ذراك كى لا تحـــزنا
للبـدر فى نيســـان يكـ
ـحل بالضيـــاء الاعينـــا

فيـــذوب فى حـــدق المهى
ســـحرا لطيفــا لينـــا
للحقـــــــل يرتجل الروا
ئع زنبقـا أو ســوسنا !

للعشب أثقله النـــــدى
للغصـــــــن اثقله الجنى
عاش الجمـــال مشـــردا
فى الارض ينشـــد مسكنا

حتى انكشـــفت له فألـ
ـقى رحله ، وتوطنـــا !

واســــتعرض الفن الجبـا
ل فـكنت انت الاحســـنا

لله ســـــــــر فيك يا
لبنـــــــان لم يعلن لنـا

خلق النجوم . وخاف ان
تغوى العقـــول وتفتنـــا

فأعار ارزك مجـــــــده
وجلاله كى تؤمنـــا . .

زعموا سـلوتك . . . ليتهم
نسـبوا الى الممكنـا
فالمرء قـد ينسى المسـ
ـيىء المفترى ، والمحسنـا
والخمر ، والحسناء ، والـ
ـوتر المرنح ، والفنـا
ومرارة الفقـر المـذل
بلى ، ولـذات الغنى
لـكنه مهما سـلا
هيهـات يسلو الوطنـا

ميخائيل نعيمة

وهناك فى قرية بسكنتا الوادعة المرتفعة على هضبات صنين آلافا من الاقدام فوق سطح البحر كان مولد شاعر آخر .. فاستقبلت الدنيا مولد شاعرين أبي ماضي ونعيمة فى عام واحد . وهناك فى المدرسة الروسية الابتدائية بتلك القرية الحالمة درس نعيمة علومه الابتدائية وأظهر الفتى فى دروسه جدا وتفوقا أهلاه لان يحظى ببعثة الى مدرسة المعلمين الروسية بمدرسة الناصرة بفلسطين وهنا اتسعت آفاق معرفته باللغة الروسية ، وزاد تضلعا فى الدراسات العربية ، ولقى من التفوق على الاقران فى الناصرة ما لقيه فى بسكنتا ،

فاستحق هذه المرة بعثة الى مدينة بولتافا من أعمال اقليم أوكرانيا الروسى ، وكان ذلك فى سنة ١٩٠٦ حيث التحق بمعهد « السمنار » هناك .

وقضي المترجم له فى بولتافاً الروسية خمس سنوات حصل فى خلالها ألوانا من الآداب العالمية ، وتزود من الادب الروسي بزاد خصيب ، حتى برع فى الكتابة بالروسية والنظم فيها . وما قصيدته «النهر المتجمد» الا أثر من آثاره الفكرية باللغة الروسية ، نقلها بعد

حين الى لغة الضاد . ولم يعد نعيمة من الروسيا الى وطنه لبنان الا ليزمع الرحلة هذه المرة الى العالم الجديد البعيد ... وقد كان في نيته الهجرة الى باريس مدينة العلم والنور ، ولكن أخاه ثناه عن عزمه واصطحبه معه الى الولايات المتحدة ، حيث درس الحقوق في جامعة واشنطون ، وظفر باجازتها العلمية سنة ١٩١٦ .

ولم يشغله الطلب للعلم عن الكتابة الادبية النقدية في مجلات امريكا العربية ، وخاصة مجلة « الفنون » وجريدة « السائح » اللتين أصدرهما نسيب عريضة وعبد المسيح حداد على الولاء ولما ماتت « الفنون » كانت « السائح » بوقا لنعيمة ورفاقه المجددين من مؤسسي « الرابطة القلمية » بنيويورك ومن رفاق نعيمة نسيب عريضة وعبد المسيح حداد . وهما من زملائه في مدرسة المعلمين الروسية في الناصرة بفلسطين. وهنا جمع الله الاشتات بعد أن كانوا يظنون كل الظن أن لا تلاقيا وافتتح حياته النقدية الادبية بنقد رواية « الاجنحة المتكسرة » لجبران في مقال عنوانه « فجر الامل بعد ليل اليأس » وفي هذا النقد ظهرت بوادر ثورته على الجمود والتقليد في اللغة العربية ، وكان هذا النقد سبيل تعرف المترجم له الى جبران خليل جبران . فانتقل الى نيويورك ، وهناك في زحام هذه المدينة المدين لها شعر المهجر بالكثير من اسباب نهوضه ، تعرف الى ابي ماضي ورشيد أيوب وغيرهم من مؤسسي الرابطة القلمية التى كان جبران عميدها ونعيمة مستشارها ...

وفي سنة ١٩١٧ تركت امريكا حيادها في خلال الحرب العالمية الاولى ، وخاضت غمراتها . وكان نعيمة واحدا من آلاف الجنود الذين شملهم قانون التجنيد الامريكي،

والقت به الاقدار الي الجبهة في فرنسا ، واتيح له بعد الحرب بعثة تعليمية في جامعة « رين » الفرنسية ، فدرس تاريخ الآداب والفنون ، والتاريخ السياسي لفرنسا . وعاد الى الولايات المتحدة سنة ١٩١٩ ، وظل فيها ثلاثة عشر عاما غادرها الي لبنان سنة ١٩٣٢ ، ليعيش في ذرا صنين ، وفي اكناف بسكنتا الهادئة ، وفي ظلال الشخروب ، حيث مزرعة له ورثها من آبائه.

***

ويعد كتاب «الغربال» لنعيمة من كتب النقد الحديث التي لا يغفلها مؤرخ للأدب العربي المعاصر . فقد كان بعد كتاب « الديوان » للعقاد والمازني من الدعائم الاولى في النهضة النقدية الادبية المعاصرة . وقد كتب العقاد مقدمة طبعته الاولى سنة ١٩٢٣ فأثنى على أدباء المهجر وشعرائه الذين فكوا عن القرائح قيود التقليد ...

ومن كتب ميخائيل نعيمة الآباء والبنون . والغربال ، والمراحل ، وكان ما كان . وديوان همس الجفون وفيه شعره العادي والمنثور . وزاد المعاد ، والبيادر ، وكرم على درب ، ولقاء . والاوثان ، وصوت العالم ، ومذكرات الارقش . وجبران خليل جبران ، الذي يعد بدعا في كتابة التراجم في الادب العربي ، وسبعون ، بأجزائه الثلاثة الضخام ، وهو سيرة صريحة رائعة لنعيمة . وله بالانجليزية كتاب « مرداد » الذي نقله هو نفسه الى العربية .

باقة من اشعاره

النهر المتجمد

يا نهر هل نضبت مياهك فانقطعت عن الخرير ؟
أم قد هرمت وخار عزمك فانثنيت عن المسير ؟
بالامس كنت مرنما بين الحدائق والزهور
تتلو على الدنيا وما فيها أحاديث الدهور
بالامس كنت تسير لا تخشى الموانع فى الطريق
واليوم قد هبطت عليك سكينة اللحد العميق
بالامس كنت اذا أيتك باكيا سليتنى
واليوم صرت اذا أتيتك ضاحكا أبكيتنى
بالامس كنت اذا سمعت تنهدى وتوجعى
تبكى ، وها إبكى انا وحدى ، ولا تبكى معى !

ما هذه الاكفان ؟ أم هذى قيود من جليد
قد كبلتك وذللتك بها يد البرد الشديد ؟
ها حولك الصفصاف لا ورق عليه ولا جمال
يجثو كئيبا كلما مرت به ريح الشمال
والحور يندب فوق راسك ناثرا اغصانه
لا يسرح الحسون فيه مرددا الحانه
تاتيه أسراب من الغربان تنعق فى الفضا
فكأنها ترثى شبابا من حياتك قد مضى
وكأنها بنعيبها عند الصباح وفى المساء

جوق يشيع جسمك الصافى الى دار البقاء
لكن سينصرف الشتا ، وتعود ايام الربيع
فتفك جسمك من عقال مكنته يد الصقيع
وتكر موجتك النقية حرة نحو البحار
حبلى بأسرار الدجى . بملى بأنوار النهار
وتعود تبسم اذ يلاطف وجهك الصافى النسيم
وتعود تسبح فى مياهك أنجم الليل البهيم
والبدر يبسط من سماه عليك سترا من لجين

والشمس تستر بالازاهر منكبيك العاريين
والحور ينسى ما اعتراه من المصائب والمحن
ويعود يشمخ انفه ويميس مخضر الفنن
وتعود للصفصاف بعد الشيب أيام الشباب
فيغرد الحسون فوق غصونه بدل الغراب
قد كان لى يا نهر قلب ضاحك مثل المروج
حر كقلبك فيه أهواء وآمال تموج
قد كان يضحى غير ما يمسى ولا يشكو الملل
واليوم قد جمدت كوجهك فيه أمواج الامل ...

فتساوت الايام فيه صباحها ومساؤها
وتوازنت فيه الحياة نعيمها وشقاؤها
سيان فيه غدا الربيع مع الخريف أو الشتاء
سيان نوح البائسين ، وضحك أبناء الصفاء
نبذته ضوضاء الحياة فمال عنها وانفرد
وغدا جمادا لا يحن ولا يميل الى احد
وغدا غريبا بين قوم كان قبلا منهم
وغدوت بين الناس لغزا فيه لغز مبهم ...
يا نهر ! ذا قلبى اراه كما اراك مكبلا
والفرق انك سوف تنشط من عقالك ؛ وهو... لا

أخي ...

اخي ! ان ضج بعد الحرب غربي بأعماله
وقدس ذكر من ماتوا وعظم بطش ابطاله
فلا تهزج لمن سادوا ولا تشمت بمن دانا
بل اركع صامتا مثلي بقلب خاشع دام
لنبكي حظ موتانا

***

اخي ! ان عاد بعد الحرب جندي لاوطانه
والقى جسمه المنهوك في احضان خلانه
فلا تطلب اذا ما عدت للأوطان خلانا
لأن الجوع لم يترك لنا صحبا نناجيهم
سوى اشباح موتانا

***

اخي ان عاد يحرث ارضه الفلاح او يزرع
ويبني بعد طول الهجر كوخا هده المدفع
فقد جفت سواقينا وهد الذل مأوانا
ولم يترك لنا الاعداء غرسا في اراضينا
سوى اجياف موتانا

***

اخي ! قد تم ما لو لم نشأه نحن ما تما
وقد عم البلاء ولو أردنا نحن ما عما
فلا تندب فأذن الغير لا تصغي لشكوانا
بل اتبعني لنحفر خندقا بالرفش والمعول
نواري فيه موتانا

***

اخي ! من نحن ؟ لا وطن ولا أهل ولا جار
اذا نمنا ، اذا قمنا ردانا الخزي والعار

لقد خمت بنـا الدنيا كما خمت بمونانا
فهات الرفش واتبعني لنحفر خندقا آخر
نواری فيه أحيانا

ابتهالات

كحل اللهم عينى
بشعاع من ضياك
كى تراك ..
فى جميع الخلق ! فى دود القبور
فى نسـور الجو ، فى موج البحار
فى صهـاريج البـرارى . فى الزهور
فى الـكلا ، فى التبر ، فى رمل القفار
فى قروح البرص ، فى وجه السليم
فى يد القـاتل ، فى نجع القتيـل
فى سرير العرس ، فى نعش الفطيم
فى يد المحسن ، فى كف البخيـل
فى فؤاد الشيخ ، فى روح الصغير
فى ادعا العالم ، فى جهل الجهول
فى غنى المثرى ، وفى فقر الفقـير
فى قذى العاهر ، فى طهر البتول
واذا ما ساورتها سكتة النوم العميق
فاغمض اللهم جفنيها الى أن تستفيق

***

وافتح اللهم اذنى
كى تعى دوما نداك
من علاك ..
فى ثغاء الشـاة ، فى زار الاسـود
فى نعيـق البوم . فى نوح الحمـام

فى خرير الماء ، فى قصف الرعود
فى هدير البحر ، فى مر الغمام
فى غنا البلبل ، فى ندب الغراب
فى دبيب النمل ، فى هب الرياح
فى طنين النحل ، فى زعق العقاب
فى صراخ الليل ، فى همس الصباح
فى بكا الاطفال فى ضحك الكهول
فى ابتهالات العراة الجائعين
فى انتحاب الناى ، فى دق الطبول
فى صلاة الملك والعبد السجين
واذا ما قرب الموت ووافاها الصمم
فاختمن ربى عليها ريثما تحيا الرمم

***

وليكن لى يا الهى
من لسانى شاهدان
صادقان ..

ان أفه بالحق فليشهد معى
أو أفه بالبطل فليشهد على
واذا ما قام غيرى يدعى
يا الهى الحق فى بطل وغى
فليكن سيفا لسانى حده
فى سبيل الحق ماض لا يهاب
لا يكف الضرب حتى ضده
ينثنى عن غيه نحو الصواب
واذا ما خان نطقى قلمى
فاراه البطل فى الحق الصريح
فى كلام الغير ، فاجعل من فمى
للسانى ايها البارى ضريح

فلسان يعلن الحق وسرا يذبحه
ليت شعرى غير صمت الموت ماذا يصلحه !

***

واجعل اللهم قلبى
واحة تسقى القريب
والغريب ..

ماؤها الايمان أما غرسها
فالرجا والحب والصبر الطويل
جوها الاخلاص أما شمسها
فالوفا والصدق والحلم الجميل
فاذا ما راح فكرى عبثا
فى صحارى الشك يستجلى البقاء
مر منهوكا بقلبى فجئا
ناثبا يمتص من قلبى الرجاء
واذا ما املى يوما متى
تائها فى مهمه العيش السحيق
عاد لما كاد يقضى عطشا
يحتسى الايمان من قلبى الرقيق
واذا الايمان ولى والرجا اضحى ضرير
فلينم قلبى الى ان ينفخ البوق الاخير

الخير والشر

سمعت فى حلمى ويا للعجب
سمعت شيطانا يناجى ملاك
يقول اى بل الف اى يا أخى
لولا جحيمى اين كانت سماك ؟

اليس انا توأمان استوى
سر البقا فينا . وسر الهلاك ؟

ألم نصغ من جوهر واحد
ان ينسنى الناس أتنسى أخاك ؟

***

فاطرق ابن النور مسترجعا
فى نفسه ذكرى زمان قديم
واغرورقت عيناه لما انحنى
مستغفرا . وعانق ابن الجحيم

وقال اى بل الف اى يا اخى
من نارك الحرى أتانى النعيم ...

وحلق الاثنان جنبا الى
جنب ، وضاعا بين وشى السديم

الطمأنينة

سقف بيتى حديد ركن بيتى حجر
فاعصفى يا رياح وانتحب يا شجر
واسبحى يا غيوم واهطلى بالمطر
واقصفى يا رعود لست اخشى خطر
سقف بيتى حديد ركن بيتى حجر
من سراجى الضئيل استمد البصر
كلما الليل طال والظلام انتشر
واذا الفجر مات والنهار انتحر
فاختفى يا نجوم وانطفىء يا قمر
من سراجى الضئيل استمد البصر

باب قلبی حصـــين من صـــنوف الـكدر
فاهجمی یا همـــوم فی المســـا والسحر
وازحـــفی یا نحوس بالتـــقا والضجر
وانزلی بالالـــوف یا خطوب البشـــر
باب قلبی حصـــين من صـــنوف الـكدر

***

وحليفی القضـــاء ورفيقی القـــدر
فاقدحی یا شـــرور حول قلبی الشـــرر
واحفـــری یا منون حول بيتی الحفـــر
لســـت اخشی العـذاب لســـت اخشی الضرر
وحليفی القضـــاء ورفيقی القـــدر ...

الى دودة

تدبين دب الوهن فی جسمی الفـانی
واجری حثيثـا خلف نعشی واكفانی
فأجتـاز عمری راكضـا متعثرا
بأنقاض آمالی واشبـاح اشجانی

وابنی قصورا من هباء واشتكی
اذا عبثت كف الزمان ببنيـانی
ففی كل يوم لی حياة جديدة
وفی كل يوم سـكرة الموت تغشـانی

ولولا ضبـاب الشك يا دودة الثری
لـكنت الاقی فی دبيبك ايمانی
فاترك افـكاری تـذيع غرورها
واترك احـزانی تـكفن احزانی

وازحف فى عيشى نظيرك جاهلا
دواعى وجدى ، أو بواعث وجدانى
ومستسلما فى كل امر وحالة
لحكمة ربى ، لا لاحكام انسان

***

فها انت عمياء يقودك مبصر
وامشى بصيرا فى مسالك عميان
لك الارض مهد والسماء مظلة
ولى فيهما من ضيق فكرى سجنان
لئن ضاقتا بى لم نضيقا بحاجتى
ولكن بجهلى وادعائى بعرفانى
ففى داخلى ضدان قلب مسلم
وفكر عنيد بالتساؤل اضنانى
توهم ان الكون سر ، وانه
ينال ببحث او يباح ببرهان
فراح يجوب الارض والجو والسما
يسائل عن قاص ويبحث عن دان
وكنت قصيدا قبل ذلك كاملا
فضعضع مابى من معان واوزان ...

***

وانت التى يستصغر الكل قدرها
ويحسبها بعض زيادة نقصان
تدبين فى حضن الحياة طليقة
ولا هم يضنيك بأسرار اكوان
فلا تسألين الارض من مد طولها
ولا الشمس من لظى حشاها بنيران
ولا الريح عن قصد لها من هبوبها
ولا الوردة الحمراء عن لونها القانى

وما انت فى عين الحياة ذميمة
واصغر قدرا من نسور وعقبان
فلا التبر أغلى عندها من ترابها
ولا الماس أسنى من حجارة صوان
هل استبدلت يوما غرابا ببلبل
وهل اهملت دودا لتلهو بغزلان ؟
وهل أطلعت شمسا لتحرق عوسجا
ونملأ سطح الارض بالآس والبان ؟
لعمرك يا أختاه ما فى حياتنا
مراتب قدر أو تفاوت اثمان
مظاهرها فى الكون تبدو لناظر
كثيرة اشكال . عديدة الوان
واقنومها باق من البدء واحدا
تجلت بشهب أم تجلت بديدان
وما ناشد أسرارها ــ وهو كشفها ــ
سوى مشتر بالماء حرقة عطشان

نسيب عريضة

١٨٨٧ – ١٩٤٦

هذا الشاعر الهادىء العميق التفكير ، ظل فى صخب الحياة يفتش عن نفسه ، ويفتش عن الحقيقة حتى اضناه طول التفكير ، واضناه فى « طريق الحيرة » المسير ... وظل هائما بالجمال والحب والمعرفه والاشواق الى العالم الروحى البعيد : فما روى غلة ، ولا اشبع نهما

صاح ! هل تعرف نبعا ان شربنا منه نروى ؟
صاح ! هل تعرف حسنا يشبع النفس فنهوى ؟
صاح ! هل تعرف لحنا فيه للأرواح سلوى ؟

وكان بين مولده فى مدينة حمص السوريه ، ووفاته فى مدينة بروكلن الامريكية واحد وستون عاما قضاها فى صراع بين المادة والروح ، وفى كفاح بين الشك واليقين حتى لقى ربه فى اول ابريل سنة ١٩٤٦ مغتربا عن حمص « ذات الاحجار السود » التى كان يتحرق شوقا اليها ، ولعله لقى الجواب الذى كان يسال عنه قائلا

حنانيك اين الذهاب وأين مصير النفوس ؟
انجتاز هذا التراب لنبلغ سبل الشموس ؟

ولقد حير هـــذا الشاعر أمر النفس ومصيرها ، والروح وتلبسها بالجسد ، فأسمى ديوانه « الارواح الحائرة » ... ويشاء الله أن يكون هـــذا الديوان الحائر ، لهذه الروح الشاعرة الحائرة ، في يد المجلد بالمطبعة عند ما لفظ الشاعر آخر أنفاسه ...

***

ولد نسيب عريضة فى حمص سنة ١٨٨٧ ، وتعلم فى المدرسة الروسية الابتدائية ، وفى مدرســة المعلمين الروسية بالناصرة بفلسطين ، وكان من زملائه فى هذا المعهد ميخائيل نعيمة وعبد المسيح حداد ، وتفرقت بهم السـبل فى الحيــاة ، الى أن جمعتهم فى نيويورك فكانوا من دعائم « الرابطة القلمية » فيها ...

وكان نسيب اسبق من ميخائيل نعيمة فى الهجرة الى العالم الجديد ، فسافر ســـنة ١٩٠٥ الى الولايات المتحدة ، واقام بنيويورك مشتغلا فى المتاجر والمصانع للحصول على رزقه . وقد عناه طلب العيش وانقل ظهره فلجأ الى الادب والشعر والـكتابة يجد فيهـا تخفيفا لأوقار ظهره المنآد ... فأسس فى سنة ١٩١٢ مطبعة « الاتلانتيك » ، وفى ســنة ١٩١٣ اشترك معه نظمى نسيم فى انشاء مجلة « الفنون » الادبية بنيويورك التى حملت مشعل التجديد الادبى فى العالم الجديد ، وكانت مسرحا لاقلام كثيرة ناشئة أخذت تحتل بعد أرفع مكان فى الادب العربى الحديث ، وكان يلتقى فيها هزل هؤلاء الرواد الادبيين بجدهم ، واحلامهم بآلامهم ... وماتت مجلة « الفنون » فلم يمت قلب « نسيب » وراءها ، لان عزيمته كانت اكبر من الموت ... واعادها الى الحياة ثانية بمعونة بعض أصحابه سنة ١٩١٦ ، ولـكنها لم تعش هذه المرة غير عامين اثنين ، فأثرت وفاتها فى

نفس المترجم له ، كما أثرت فيه وفاة شقيقه «سابا» الذى اخترم الموت شبابه الغض فى أعقاب الحرب العالمية الاولى ...

***

وعاد نسيب الى الصراع الشاق فى سبيل الرزق من جديد ، ولكنه لما سئم عاد الى الكتابة والادب والشعر والتحرير ، فحرر فى « السائح » و « مرآة الغرب » و « الهدى » وهى أكبر الصحف اليومية العربية واوسعها انتشارا فى العالم الجديد ...

وفى الحرب العالمية الثانية اشتغل نسيب عريضة بالتحرير والترجمة فى مكتب « الانباء الامريكى » وظل فيه حتى انتهت مهمته بانتهاء الحرب ، وهنا كان الداء قد الزمه الفراش ؛ فاعتزل الكتابة وهجر الشعر الذى طالما غنى ارق الالحان الصوفية على خمائله الى أن توفى سنة ١٩٤٦ ...

باقة من اشعاره

مناجاة

لاحت قصــور الخيال تعلــو متون الغمـام
يا إخت روحى تعــالى أطلت فيهــا المقام

***

يا اخت روحى اسمعينى من أوج تلك السـماء
قـد كاد يقضى يقينى هلا اجبت النــداء ؟
اراك لا تعــرفينى أزال عنى البهـــاء ؟
أجـل ! نفــير كنهى مذ جئت أرض الشقاء
بدلت فيهـــا جلالى بحلة من عظـــام
يا أخت روحى تعالى قــد إضجرتنى الانام

***

ارنو بليـــل كئيب وطرف جســمى كليـل
أصغى ! ترى من مجيب او من خيال جميـل
يلوح رجع ســـناه فى طى غيم ثقيـل ؟
وكيف والجو قفــر بحار فيه الدليـل ؟
يا ويح هــذى الليالى أضحت لطرفى لثـام ؟
يا أخت روحى تعالى فالناس صرعى نيـام !

***

الناس ! من هم ؟ جسوم ضـاعت بهن النفـوس
ان يرقــدوا فنعيم رقـادهم فى البـؤوس

وا حسرتا ! انا منهم ما دام جسمي اللبوس
نامـــوا ونعسي يقظى تهذى بذكر الشـموس
نرجو انتهـاء اعتقـالي لـكى تفض الخيـــام
يا أخت روحى تعالى نلقى اليك الخطـــام

❋❋❋

كانت لها الشهب عرشا وكنتما فى اقتـــراب
فأهبـــطت فهى تخشى وتنزوى فى الحجـــاب
تظـــل غرثى وعطشى لقوتها والشــــراب
تقتـات بالصـوم حينا وترتوى بالســـراب
عافت ثدى المحـــال ينز منهــــا الاوام
يا أخت روحى تعالى قد حان عهـد الفطام

❋❋❋

يا اخت روحى الحزينة الى متى ذا الصدود ؟
أو انت مثلى سجينة قد اثقلتـك القيـود ؟
مرضت فى الارض يأسا ولا صـــديق يعود ؟
يا أخت روحى ! صبرا فالملتـــقى فى الخلود !
لاحت قصـور الخيال كومضـــــة فى الظلام
اكلهن خـــــوالى ؟ ما من يرد السـلام ؟

أيا نجمة

ايا نجمة ســـطعت فى الظلام
انيرى طريق فتى لا ينـــام
فتى عذبتـــه النوى والهموم
فتى انقظتـــه امور جســام
انيرى طريقى خـــلال الرؤى
خـلال الشكوك ، خـلال السآم
لقـد طـال ليلى فهل من صبـاح ؟
وطال اضطرابى فهل من سـلام ؟

أيا نجمة فى أعالى السماء
أطلت السكوت ، فهل من كلام ؟

على طريق أرم

تفتحت أعين الدرارى
واستيقظت أنفس الليالى
وهينمت فى الدجى الامانى
ورفرفت اجنح الخيال
وافلت الحلم من عقال
فطار يسعى الى الجمال
فقم بنا يا سمير نفسى
نقفو الامانى الى الكمال
قم نتخذ للمنى جناحا
يطير من عالم الحدود
عسى نرى فى السماء دربا
نسير فيه ولا نعود
نؤم خدر الرؤى ونحظى
بما حرمناه فى الوجود
قم واترك الجسم حيث يبلى
فالموت خير من الجمود

***

لى كل يوم هوى جديد
بلا وصال ولا لقاء
حولى مياه حلت وساغت
لكن قلبى بلا ارتواء
لو رمت يوما لكنت أجنى
من ثمر الحسن ما أشاء

لكن هوى النفس فى خيال
قد لاح للروح فى السماء
احن شوقا الى ديار
رايت فيها سنى الجمال
اهبطت منها الى قرار
امست به الروح فى اعتقال

اهيم فى الليل مثل اعمى
جاع ولا يحسن السؤال
يهزنى فى الدجى حنين
الى الذى مر من وصال ..

***

هل من سبيل الى رجوع
هل من طريق الى وصول !
تهيم نفسى ولست ادرى
بحاصل أو بمستحيل
يا صاح قد حرت اين امضى
والسبل ضلت عن الضلول
فاستلمح البرق هل تراه
فانه اول السبيل
انظر فلى فى البروق سر
تعرفه النفس فى البروق
الا ترى البرق نار ركب
تقدمونا على الطريق ؟

من الف دهر والف دنيا
سموا الى المشرع الحقيقى
فسر بنا نقتفى خطاهم
نصر الى منبت الشروق

أم الحجار السود

صور تلوح لخاطر المعمود
ما بين أرباض المنى والبيد
خفاقة فيها بنود العيد
بسامة فيها ثغور الغيد
تجلو رؤى ماضي الهوى المفقود

وقف الفؤاد أسير بارق نارها
يهفو الى ما لاح من أسرارها
لمن الديار تذوب من تذكارها
من بعد طول نوى وفرط جحود
يا موثقا من شوقه بقيود ؟

يا قلب ما هذا الخفوق وما ترى
فيما توهمه الخيال وصورا
تبكي كأنك بعض افئدة الورى
وظننت أنك صرت صلب العود
أشجتك رؤيا يا أخا الجلمود ؟

رفعت لطرفك من مكان قاص
تختال بين حدائق وعراص
أعرفت يا قلبي عروس العاصي
مجبى أمانينا ، ومحيا الجود ؟
ونعيم ارض بالوجود سعيد ؟

أعرفتها تلك الربوع العالية
ما بين لبنان وبين البادية ؟

الذكريات وقد برزن علانيـــة
نادين عنك بحسرة المطـرود :
يا حمص ! يا بلدى وارض جدودى !

جثمت بكلـكلها على درب الامم
جبـــارة من طبعها رعى الذمم
بلد الهدى أحجارها سود ؛ نعم
لله در ســوادك المعبـــود !
يا حمص ، يا ام الحجار السود !

انسيم وعرك ما سمعت مهينما
ام روح ديك الجن من خلف الحمى
ام شيخنا الجندى حن ورنما
متغـــزلا بمعاطف وقـــدود !
بيضاء فى ظل الحجار السود ؟

ماذا يكابد فى النوى ويقـاسى
صب يحن الى حمى الميمـاس
والى الدوير ، الى ربوع الـكاس
وكناسـها ، وغزالهـا الاملود !
والى مغـانى نعمـة وســعود !

حمص العـــدية ، كلنا يهواك
يا كعبـة الابطـــال ان ثراك
غمــد لســيف الله فى مثواك
ولـكم لنا من خشعة وسجود
فى هيكل النجوى ومن تمجيد !

رشـــيد أيـــوب

١٨٧١ – ١٩٤١

يذكرنى هذا الشاعر الباكى الشاكى بشاعرنا حافظ ابراهيم ، فان كل قصيدة من شعره هى أنغام من الاسى ، ونغمات من الشكوى الصاعدة من اعماق قلب حزين ، حتى أطلقوا عليه اسم « الشاعر الشاكى » . وقد كان ينفس عن الشكاة فى شعره بالنكتة الحاضرة والفكاهة التى يرسلها فى مجلسه . كما كان شاعر النيل حافظ ابراهيم فى نكتته وفكاهته فى مجالسه . ويشهد له الاستاذ ميخائيل نعيمة بذلك فى قوله عنه وعن عبد المسيح حداد بأن كلا منهما خفيف الروح ، حاضر النكتة ، لطيف المعشر ، فكم احالا العبوس فى بعض الساعات الى حالات من الضحك ؛ وكم ساعة تدب ثوانيها فى أصفاد من الهم والاسى جعلاها دقيقة ترفرف بأجنحة من الزهو والطرب (١) ... ولولا هذه الروح الخفيفة والنكتة الحاضرة عند أمثال رشيد أيوب وحافظ ابراهيم لكانت الحياة جحيما لا يطاق أواره ، ولا تحتمل ناره ...

ورشيد أيوب من السابقين الاولين الى الهجرة الى

(١) جبران خليل جبران لميخائيل نعيمة ، ص ٢٢٤

العالم الجديد ، كما كان من السابقين الى تأسيس « الرابطة القلمية » فى نيويورك سنة ١٩٢٠ ، فهو من السبعة الكرام الذين شهدوا أول اجتماعاتها كما اسلفنا فى فصل سابق . وديوانه « الايوبيات » من اقدم ما نشر من شعر المهجر . فهو يعود الى عام ١٩١٦ . وديوانه « اغانى الدرويش » المطبوع بامريكا سنة ١٩٢٨ اشترك جبران فى وضع رسومه واطر صفحاته ، كما اشترك ميخائيل نعيمة فى كتابة مقدمته.

ولقد شهدت قرية بسكنتا ـ وطن نعيمة ـ مولد الشاعر رشيد أيوب سنة ١٨٧١ . كما شهدت مدرستها الصغيرة نضوج عقله . وفى سنة ١٨٨٩ رحل الى باريس واقام فيها ثلاث سنوات ، ثم تركها الى مانشستر واقام فيها نحوا من ذلك يشتغل بالصفق فى الاسواق تاجرا ووسيطا ومصدرا للبضائع ... ولكن الوطن دعاه فلباه ليمضى فيه ثلاثة اشهر فقط ، غادره بعدها الى امريكا حيث دعته الحياة من جديد ، وحيث دعته منيته ليدفن فى ثرى امريكا ، وفى أحضان بروكلن فى ديسمبر سنة ١٩٤١ .

وعلى الرغم من اغراق رشيد ايوب فى ذكريات حزينة وتذكارات باكية ، وحنين الى فائت لا يعود ، ونواح على ماض يفضى الى حاضر مهموم ، فانه كان دائم التطلع والتشوف الى غد سعيد مرموق. ولعل ميخائيل نعيمة قد أنصفه حين قال عنه : « ان تكن فى شكواه مرارة الفشل ، ففيها كذلك حلاوة الامل ، وان تكن فى دمعته حرقة الاسى ، ففيها كذلك برودة التأسى » . ولهذا ليست شكاة رشيد أيوب مناحة على الحياة ، بل هى ادراك لسر الحياة ، وفهم للحياة على وجهيها. فأوتار حزنه كأوتار فرحه يضربان على قيثارة الحياة ،

وينبعان من قلب الحياة ... ومن هنا يجد المحزونون في شكوى رشيد ايوب سلوة لاحزانهم من هموم زمانهم. ولقد شارك رشيد في حركة الشعر المنثور بمقطعات اهمها الاعمى ، والشاعر ، والدرويش ، كما شارك في الشعر الوطني وشعر الحنين الى الاوطان ببضع من القصائد منها قصيدته « بلادي » التي يقول في مطلعها :

خلقت ولكن كي أموت بها حبا
لذاك تراني مستهاما بها صبا

وقد ترك الشاعر لنا ثلاثة دواوين هي «الايوبيات» و « اغاني الدرويش » و « هي الدنيا » الذي ظهر في العالم الجديد سنة ١٩٣٩ .

لعل غدى

دموع بعينى لم تجمـــد
ونار بقلبى لم تخمـــد
فيا دمع هل أنت من لجة
ويا نار هل أنت من موقد ؟
اصلى لموسى ، واعبد عيسى
واتلو الســلام على احمـد
طلبت معينــا على الحادثات
فمر الزمان ولم اهتـــد
اذا ما تمشى بفكرى القريض
قرضت وصدرى عليه يدى
اقلب طرفى برحب الفضاء
وامضى حزينا الى مرقدى
اقول وامسى خان العهـود
ويومى كأمسى : لعل غدى !
فيا دهر ان اشك لا تغترر
فما أنا فى موقف المجتدى

الجندى والغدير

يا غديرا جاريا بين الحقـــول
فى سكون الليل ، ما هذا الخرير ؟

قل برب الخلق هل انت رســـول
رنة الافـــلاك فى اوج الاثير ؟
ام فؤاد الصب من بين الطلول
يبعث الشـــوق انينـــا وزفـــير ؟
هل تقاسي وحشة الليل البهيم
وبنـــات النعش فيه مؤنســـات ؟
مثـــل صب كلما هب النســـيم
هاجه ذكرى الليالى المـــاضيـــات
ام كمشتـــاق الى دار النعيـــم
بعد ما قد مل من هذى الحياة
أنت تبكى مثل من يرعى العهود
انت مثلى مذ تلا الليل النهار !
بدموع مـــا لها الدهر جمـــود
كدموعى خلقت للانحدار .
انما أنت الى البـــحر تعود
وانا هيهـــات عودى للديار

فراشتى

ماذا تقول فراشـــتى ان رفرفت عند الصبـــاح
ورات محاسن روضتى اودت بها هوج الرياح
فتنـــــاثرت أزهارها منهـــا وفر هزارها ؟
ماذا تقـــول اذا اتت من لم أجد عنها براح ؟
ورات كمنـــجتى التى من كثر شوقى والنواح
قـــد فحرتهـــا نارهـــا فتقطعت أوتارهـــــا ؟

***

يا ليت شعرى ما تقو ل اذا اتت ذات الوشاح
ودرت بـــان روايتى فى مسرح الغيد الملاح
قد اسبلت استارها وقد انتهت أدوارها ؟

غروب شمس الحياة

دنت المنيــة وانقضى عمرى
ونسيت ما قد كان من امرى !
غابت رســوم فى مخيلتى
كادت تضىء كأنجم زهــر
وخبــا فؤاد كان مشتعلا
بالحب مثل النار فى صــدرى
ودوى نفسى الآن خارجــة
منى دوى الموج فى البحر
ماذا اذا رفع الحجاب غدا
القى وقد اصبحت فى القبر ؟

***

قد كنت حتى الامس مصطحبا
عزمى ، شعورى ، همتى ، لبى
ان قمت قام الحب فى اثرى
أو نمت نام الحب فى جنبى
واذا بكيت بكيت منتحبــا
واذا ضــحكت ضحكت فى قلبى
فحسبت نفسى فى الهوى ملكا
قد توجتـــه الاهة الحب
واليوم قد أصبحت منفردا
لم ادر كيف تفرقت صحبى !

***

انفقت هــذا العمر مكتئبا
وقطعت هذا العيش بالركض
ودرجت فى الدنيا على امل
باق ولو غيبت فى الارض

ما ضر نفسي والحياة مضت
فالى حيـــاة غيرها تمضى
فالنفس من اخـلاقها ابدا
ابدال ذاوى الغصن بالغض
والعين ان طال السهاد بها
عند الضحى حنت الى الغمض

***

دنيــــا وداعا ان ثويت غدا
وتقطعت فى القبر أوصـــالى
وتساءلت عنى الطيور وقد
تاقت الى شـدوى واعوالى
ورياضك الغنـاء قد عجبت
منى بأنى مغرم ســـالى
قولى بأنى قد رحلت الى
حيث الحمـام يفك أغلالى
ولحقت آمالى فقد سبقت
قدما غروب الشمس آمالى ...

ألم ترني ؟

الا ليت لى ما قد دعاه بنو الورى
حطـــاما فاعطى البائســـين وانفح
ســـــموح هو المرء المفرق ماله
ولــكن من يعطى من القلب أسمح
الم ترنى والدهر أصمى حشاشتى
أعلم ورقاء الحمى كيف تصـــدح
اذا صـلحت بالمـــال نفس فانها
باعطــائها ممــا لديهــا لاصـلح

فما المال الا – بعد موتك – بارح
وما الجود الا صنع ما ليس يبرح . . .

النفس الهاربة

ضربنا بقرب السواقي الخيام
وبتنا هناك بظل السلام
الى ان تجلى لنفسي الغرام

ففكت سلاسل اغلالها
والقت الى بأثقالها

تمشت الى الروض عند الصباح
يموج على منكبيها الوشاح
فأصغت الى هينمات الرياح

وسارت على درب آمالها
تمس النجوم بأذيالها

تغنت بلحن بعيد القرار
كهمس السواقي وشدو الهزار
فلما توارت وشط المزار

ترى هلْ خطرت على بالها
بدنيا الهموم واهوالها ؟

الا اين كاسي وهاتوا الشمول
لأنعش قلبا عراه الذبول
الا ليت شعري اما من رسول ؟

يذكر نفسي بأطلالها
وأن غناها بإقلالها ؟

جبران خليل جبران

١٨٨٣ - ١٩٣١

لو أجيب اقتراح الفتى بطرس - شقيق جبران - يوم ميلاد أخيه لكان اسمه الآن « عنتر » بدلا من جبران ! ولكن الشيخ خليل والد جبران يقهقه حين يسمع باسم عنتر يتدفق من شفة أخيه الصغير ، ويقول : جبران أحسن من عنتر جبران جد العائلة!

وهكذا طلع على الدنيا الكاتب النابغة جبران فى ليلة من ليالى ديسمبر سنة ١٨٨٣ ، وفى أحضان قصبة « بشرى » من أعمال لبنان .. ولعل ترجمة ميخائيل نعيمة لجبران هى أبدع ما فى كتب التراجم فى الادب العربى ، فقد صور فيها حياته وموته ، وفنه وادبه تصويرا حيا نابضا ، وصور لنا هذه الروح الادبية المفكرة التى اطلت على سماء الدنيا برهة ثم غابت الى حياة الذكريات . لقد تعلم جبران فى « مدرسة الحكمة » ببيروت - وهي مدرسة اخرجت شيوخا وعمالقة فى النهضة الفكرية - ثم رحل الى باريس فأقام فيها شهرا ، ومنها شد الرحال الى الولايات المتحدة ، فأقام فى مدينة بوسطن يشتغل بالكتابة والتصوير ، وقد كانت ريشته المصورة كريشته المعبرة ، تحلقان فى

سماء بعيدة من الخيال العميق .

وفى سنة ١٩٠٨ عاد الى باريس ليكمل الموهبة الفنية فيه ، فأقام فيها ثلاث سنوات حصل بعدها على اجازة عالية فى التصوير من معهد الفنون الجميلة ، وفاق بالسبق والتقدم مئات من المتقدمين معه لهذه الاجازة الرفيعة من شعوب شتى . وفى مدينة العلم والنور بفرنسا اتصل جبران بالنحات العالمى الجبار « رودان » وزاره فى محترفه ، فأخذ الفتى العربى ببساطة الفنان الفرنسى وعظمته ، وهيبته ووداعته ، وسمع منه حديثا عن الشاعر الفنان الانجليزى «وليام بليك» وكيف التقى فيه الشعر والتصوير ... ومن هنا فتن جبران بالشعر ، وتمنى لو اجتمع فيه الفنان والشاعر كما اجتمعا فى وليام بليك ...

وما خابت امنية جبران ، فقد التقى فيه الفن الجميل والشعر ، وان كان شاعرا تحرر من قيود الوزن والقافية الى أبعد الحدود . فانه يغلب على كتاباته وآثاره النثر الشعرى او الشعر المنثور ، اما الشعر المقفى الموزون فقد كان الكاتب النابغة مقلا فيه ، ولكن له مع ذلك قصيدته « المواكب » التى اجتمع فيها شعره ورسمه ، فقد زينت قصائدها أو مقطعاتها بلوحات فنية تدل على عبقرية الفكر والفن عند هذا الكاتب العظيم .

ولم يصادف أديب عربى من الرواج والقبول عند القراء ما صادفه جبران ، فقد جذب أسلوبه الشائق وطريقته المبتكرة كثيرا من المتشوقين الى ادب جديد ، ولم يقل حظه فى مؤلفاته الانجليزية عنه فى كتبه العربية. فقد فتن الامريكيون بمؤلفاته وعلى راسها « النبى » الذى بيع منه الى اليوم ٧٧٨٢٠٠ نسخة و « رمل

وزبد » الذي بيع منه ٣٢٩٠٠ نسخة ، و « التائه » الذي بيع منه ١٧٩٠٠ نسخة ، و « المجنون » الذي بيع منه ١٦٣٠٠ نسخة (١) ...

ولجبران الفضل كل الفضل فى تأسيس « الرابطة القلمية » بنيويورك ، فقد كان الروح التى تصل بين ارواح عمالها وأنصارها ، حتى اختاروه عميدا لها . ولا شك ان حركة التجديد فى الادب العربى ، وحركة الحملة على القديم ، وحركة التحرر من قيود الاساليب والوزن — بل التفكير نفسه — ستظل مقترنة باسم جبران ، على مدى الآباد والازمان ...

ومات جبران مهاجرا فى ابريل سنة ١٩٣١ بأحد مشافى نيويورك . وفى أغسطس من السنة نفسها نقل جثمانه الى لبنان ، حيث شيع فى موكب رهيب الى بلدته « بشرى » (٢) وهناك دفن فى ثرى الارض التى وهبته الى العالم الجديد ، ثم استردته الى احضانها من جديد ...

---

(١) هذه الاحصاءات وصلت الى من الناشر « الفرو كنوف » بواسطة البروفسور ديتس سنميت

(٢) زرت هذه القرية اللبنانية الجميلة فى اغسطس سنة ١٩٥٤ لاطلع على مافى متحف جبران من غوالى الآثار

ماذا تقول الساقية ؟

سرت فى الوادى وقد جاء الصباح
معلنا سـر وجود لا يزول
فاذا ساقية بين البطـاح
تتغنى وتنـادى وتقول :

ما الحيـاة بالهناء انما العيش نزوع ومرام
ما الممات بالفنـاء انما الموت قنوط وسقام
ما الحكيم بالكلام بل بسر ينطوى تحت الكلام
ما العظيم بالمقام انما المجد لمن يأبى المقام
ما النبيـل بالجدود كم نبيل كان من قتلى الجدود
ما الذليـل بالقيود قد يكون القيد أسنى من عقود
ما النعيم بالثواب انما الجنة بالقلب السليم
ما الجحيم بالعذاب انما القلب الخلى كل الجحيم
ما العقـار بالنضار كم شريد كان أغنى الاغنياء
ما الفقير بالحقير ثروة الدنيا رغيف ورداء
ما الجمال بالوجوه انما الحسن شعاع للقلوب
ما الكمال للنزيه رب فضل كان فى بعض الذنوب

هـذا ما قالته تلك الساقية
لصخور عن يمين ويسـار

رب ما قالته تلك الساقية
كان من أسرار هاتيك البحار

البلاد المحجوبة

هو ذا الفجر ! فقومى ننصرف
عن ديار ما لنا فيها صديق
ما عسى يرجو نبات يختلف
زهره عن كل ورد وشقيق
وجديد القلب انى يأتلف
مع قلوب كل ما فيها عتيق ؟
هو ذا الصبح ينادى فاسمعى
وهلمى نقتفى خطواته
قد كفانا من مساء يدعى
ان نور الصبح من آياته . .

***

قد اقمنا العمر فى واد تسير
بين ضلعيه خيالات الهموم
وشهدنا اليأس أسرابا تطير
فوق متنيه كعقبان وبوم
وشربنا السقم من ماء الغدير
وأكلنا السم من فج الكروم
ولبسنا الصبر ثوبا فالتهب
فغدونا نتردى بالرماد
وافترشناه وسادا فانقلب
عند ما نمنا هشيما وقتاد

***

يا بلادا حجبت منذ الازل !
كيف نرجوك ومن أى سبيل ؟

أى قفر دونها اى جبـــــــل
سورها العالى ومن منا الدليل ؟
أســـــــــراب انت ام انت الامل
فى نفوس تتمنى المســـتحيل ؟
أمنـــام يتهـــادى فى الفـــلوب
فاذا ما استيقظت ولى المنـــام
ام غيوم طفن فى شـمس الغروب
قبـل ان يغرقن فى بحـر الظـلام ؟

***

يا بلاد الفـكر يا مهـد الالى
عبـدوا الحق وصـلوا للجمـال
ما طلبنـــــــاك بركب أو على
متن ســـــفن أو بخيل ورجال
لست فى الشرق ولا الغرب ولا
فى جنوب الارض أو نحو الشمال
لست فى الجو ولا تحت البحار
لست فى الســهل ولا الوعر الحرج
أنت فى الارواح انوار ونار
أنت فى صـــدرى فؤاد يختلج

مسعود سماحة

١٨٨٢ - ١٩٤٦

اذا كنا نقيم وزنا لشهادة أعلام البيان فى رجال البيان ، فان شهادة المغفور له الامير شكيب ارسلان فى شعر مسعود سماحة تعد تزكية أدبية رفيعة لها قيمتها فى تقدير هذا الشاعر المهجرى الكبير .

ويعترف الامير شكيب بأن الشاعر مسعود سماحة هو فى هذا العصر من فرسان الحلبة التى تمثل فحولة الشعر العربى ، ولا ترضى من اللغة الا بالنسج الذى كان لها فى ايام الجاهليين والمخضرمين . والحق ان شعر مسعود سماحة يحمل طابع القديم ويعود بالقارىء

الى اساليب الاولين ، كأن موجة التجديد الجارفة فى المهجر لم تأخذ صاحبنا فى تيارها ! وعلى الرغم من اقامته الطويلة فى أمريكا فانه لم يتأثر باتجاهات « الرابطة القلمية » فيها ، بل لم يكن — فيما يظهر من وثائق تكوينها — من عمالها ولا من أنصارها ، ولعل نزعة المحافظة قد باعدت بينه وبين التجديد فى عالم يموج بالجديد .

ولقد لقى سماحة من آلام الغربة الروحية والوطنية، وآلام الجهاد فى سبيل العيش ما انعكس فى كثير من

قصائده . ولما خانه الحظ فى حياة المتاجرة والصفق فى الاسواق عاد الى القلم يجد فى شباته منفسحا للتعبير عن آرائه فى صراحة وجرأة واخلاص لوطنه . ولما عاد الى لبنان سنة ١٩٢٥ زائرا لقى من حالة التعس فى بلاده ما انار قديم اشجانه فنظم قصيدة مؤثرة يقول فيها :

مشت القرون وكل شعب قد مشى
معهـــا وقومك واقفون ونوم
لم ترتفع كف لصـــفعة غاشم
فيهم ، ولم ينطق بتهديد فم

***

ويتجلى شعر المناسبات واضحا وكثيرا فى ديوان مسعود سماحة ، حتى لا يكاد يخلو حفل اجتماعى او وطنى فى أمريكا من قصيدة تنشد لهذا الشاعر ، فهو يستقبل عربيا وافدا الى امريكا ، او يودع راحلا ، أو يهنىء صديقا ، او يداعب رفيقا . الا ان شعره الوطنى وقصائده الغزلية ومراثيه لكثير من الراحلين تدلنـا على روح وطنيـة عالية ، وعلى نفس رقيقة ، وعلى قلب وفى .

ولقد شهدت مدينة واشنطون كثيرا من نشاط هذا الشاعر الادبى والتجارى .. فقد آثرها على نيويورك ، وان كانت هذه الاخيرة هى التى اخرجت ديوانه الضخم الى عالم الوجود ، حيث طبع فى مطبعة جريدة «السمير» العربية التى يصدرها ايليا أبو ماضى .

ولد شاعرنا فى قرية دير القمر بلبنان سنة ١٨٨٢ ، وهاجر الى الولايات المتحدة غير مرة ، ولعله من اقدم المهاجرين اليها ، فقد كانت اولى رحلاته سنة ١٩٠٠ . وفى سنة ١٩٠٨ عاد الى لبنان حيث انشأ فى سنة ١٩١٠ جريدة « دير القمر » مشتركا مع الاستاذ نعوم

افرام البستاني . وعاد الى أمريكا قبيل الحرب العالمية الاولى ـ سنة ١٩١٣ ـ مشتغلا بالتجارة ، الا انها لم تصرفه عن رســالة الشعر الجميل ... ولقد قدرت الولايات المتحدة جهود الشاعر فأنعمت عليه ولاية كنتكى برتبة « كولونل » . وفى خلال الحرب الثانية اشتغل الشاعر محررا فى جريدة البيـــــان النيويوركية التى انشأها سنة ١٩١١ الاديبـان سليمان بدور ، وعباس ابو شقرا ، الى أن ادركته المنية فى ســنة ١٩٤٦ وهو عامل فى تحريرها . وللشاعر منظومات غنائية رقيقة فى الانجليزية ، وقد لحنت احدى شركات الموسيقى فى شيكاغو سنة ١٩١٨ اغنية له عنوانها : « عندما تكون انت وانا واحدا » .

باقة من اشعاره

اللـــــه ..

الملك ملكك والبهـــاء بهاكا
والارض أرضك والسماء سماكا
الكون مع ما فيه من متحرك
او ســاكن قد كونته يداكا
نظمت أمكنة النجوم وسيرها
والارض . والقمرين ، والافلاكا
لا مسعف الاك . لا متســاهل
الاك . لا متســــلط الاكا

***

تهوى العروش وعرش مجـدك ثابت
وسـواء ملكك كل ملك فان
سـلطان مجدك انت فيه أول
لا رأى فيـــما ترتئيه لثان
من بعض حسنك كل حسن فى الورى
والنور بعض بهاك والقمـــران
لا العقل يدرك كنه سرك ، لا ، ولا
تلقى جمالك مقلتا انسان . . .

***

والملحـــدون وكلهم متجاهل
أو جاهل لا يقبــل البرهانا

قالوا الزمان هو الرقى وقولهم
يوهى الجحـود ويدعم الايمانا
من اوجد الاسماك فى أبحارها
من كون الاجسـام والانسانا ؟
من قيـد الابحار فى قيعانها
من نظم الافـلاك والاكوانا ؟

***

حارت عقول البـاحثين وقصرت
وسـواك كل عاجز ومقصر
لم يعثروا الا بما أوحيتـه
وأذعته لهم ، ولمـا يعثروا
ما قصروا فى البحث . لكن لم تشأ
رفع الحجاب عن المصون فقصروا
لو رمت كشف حجاب سرك للألى
بحثـوا لأبصره الذى لا يبصر

***

رصدوا النجوم فلم تفتهم غاية
منها ، ولم يشكل عليهم أمرها
والكيميـا دانت لعلمهم ولم
يغمض عليهم حلـوها أو مرها
قاسـوا البسيطة برها وبحورها
وعنا لهم قر الفصـول وحرها
لكن بعض سرائر حجبتهـا
طمست عقولهم وحلق سرها . . .

***

هـذا باطمار يطوف وغيره
بالفـرو والخـز الموشى يرفـل
هذا قوى الجسم ، هذا واهن

هــذا بلا حول ، وهــذا احول
هــذا فضولى ، وهــذا فاضل
هــذا نطــاسى ، وهــذا اخطل
سر جلالك صانه ، فعلى الورى
أن يذعنوا لعلاك . لا أن يسألوا

***

لك رحمــة فيهــا اليراع مقصر
وبيان أرباب الفصـــاحة اعجم
لو رمت عدلا فى الخليقة ما بقى
فى الارض مخلوق به يجرى الدم
قالوا الخطاة المجرمون مصيرهم
لجهنم ، وســـواك كل مجرم
حاشى لرحمتك العجيبة أن نرى
نفسا وانت صنعتها تتألم . . .

***

ضل الغنى بماله . ولو اهتدى
لرأى الغنى بازاء باب المحسن
اعطيتـــــــــه مالا فمجد ماله
لا مؤمن بالتبــر فيــك بمؤمن !
لم يدر ان المقتنى يفنى ونو
ر علاك وضــاح ويفنى المقتنى
والموت قد ســاوى الورى ففقيرهم
يتجرع الــكأس العتيــدة كالغنى

لو ملــكت الدنى

لو ملــكت الدنى سماء وارضــا
لوضـــــعت الاكوان بين يديك !

ولقلدت جيـدك الشمس والبـد
ر وصفت النجوم فى قرطيـك
واخذت السواد من لمة الليـــ
ـل والقيتـــــه على فوديك
ولحكت الضـــباب ثوبا وبردا
ووضعت النسيـــم فى برديك !
وجعلت الورود حولك تنـــمو
واحمـــــرار الورود فى خديك
ووضعت الجلال فوق محيـــا
ك ولمع البـــروق فى عينيـك
واخذت الجمال من روعة الفجـ
ـر وحولته الى صـــــدغيك
واخذت ابتســـامة ابنة خمس
طابعا مثلها على شـــــفتيك
ومزجت الرقى بطلسـم سـحر
ووضـعت المزيج فى مقلتيــك !
وجعلت السلام فرشـــا وثيرا
ورميت الهنا دنارا عليـــــك !
ومددت الطريق درا وماســـا
ووضعت اليـــاقوت فى خفيك !
وتثنى الغصـــون ما بين جنبيـ
ـك وشكل السيوف فى حاجبيك !
ولالقيت ما ملـكت ، وزندى
وفؤادى ، والروح فى راحتيـك !
وفعلت الذى فعلت لعـــــلى
اسعد النفس بالوصول اليك ..

محبوب الخوري الشرتوني

١٨٨٥ – ١٩٣١

لم تشهد سماء الولايات المتحدة نجم هذا الشاعر الا وهو على ابواب الافول فى مستشفى «مايو» الشهير بمقاطعة روتشستر سنة ١٩٣١ ، أما سماء المكسيك وأرضها ، واغوارها وانجادها فقد شهدت حياة هذا الشاعر مجاهدا فى سبيل الرزق ومشاركا فى رسالة الفكر والادب والصحافة العربية . وقد تقسم قلبه صراع بين المادة والعلم ، حتى استهوته التجارة فى بلاد المكسيك فجمع منها ثروة طائلة ، ولكن الدهر كان راصدا له فنكب فى ثرواته غير مرة ، بالحريق مرة ، وبالاغراق ثانية ، وبأيدى اللصوص ثالثة ... وفى المرة الاولى استقبل الحادث بقصيدته المشهورة التى قال فى مطلعها :

حلم جميل من ذهب   ما زارنى حتى ذهب !

وحياة هذا الشاعر سلسلة من ذلك الكفاح الطويل الذى يبدو لنا فى شعراء المهجر جميعا ، فهو ينتقل من التعليم فى لبنان ، الى الكتابة والشعر والتجارة فى المهجر الشمالى ، الى الصحافة التى اسهم فيها باصداره جريدة « الرفيق » العربية بعاصمة المكسيك سنة ١٩٢٥ وليست « الرفيق » سوى واحدة من خمس عشرة صحيفة يصدرها العرب فى المكسيك

منذ سنة ١٩٠٥ الى زماننا هذا . وكان المترجم له صحفيا بطبعه ونشاته فى ارض وطنه ، قبل أن يشارك فى الصحافة العربية فى المهجر ، فقد تولى - قبل هجرته الى امريكا - رياسة تحرير صحيفة « لبنان » فى مدينة بعبدا اللبنانية ، وهى الجريدة التى انشاها الكاتب ابراهيم الاسود . وقد حولها المترجم له من صحيفة للأخبار الى معرض انيق للآثار الادبية والافكار.

اما حياته فى التدريس فكانت نموذجا للمدرس الذى خلق بطبعه ليكون مدرسا ، ومن هنا فتحت له مدارس بيروت أبوابها ليؤدى فيها رسالة المعلم الناجح، فدرس فى المدرسة البطركية والمخلص والفرير والكلية اليسوعية ومدرسة الحكمة التى تلقى فيها العلم شابا ، بعد أن رضع لبان التعليم الابتدائى فى مدرسة الفرير ومدرسة « قرنة شهوان » .

ويغلب على محبوب الشرتونى شعر المناسبات كما غلب على شعر مسعود سماحة ، وكأنهما كانا يمتحان من نبع واحد فالشعر الوطنى والاجتماعى والغزلى وشعر المراثى والمناسبات هو طابع الديوان العام - ذلك الديوان الذى ظهر مع ديوان مسعود سماحة فى عام ١٩٣٨ وطبع فى مطبعة جريدة السمير للشاعر ايليا ابى ماضى ، الذى كتب مقدمة كشف فيها عن شاعرية المترجم له وتاديته رسالة الشعر والادب فى بلاد سلختة فيها يد الزمان عن وطنه .

ولد محبوب فى قرية شرتون من أعمال قضاء الشوف بلبنان سنة ١٨٨٥، وكان الشعر يجرى فى دماء أسرته ، فابوه شاعر فنان ، وجده كان امام الزجالين فى عصره ، وعلى الرغم من نزعته التقليدية المحافظة فى الشعر فانه يمثل لنا الشعر العربى المغترب فى بلاد المكسيك أصدق تمثيل

حلم جميل من ذهب (*)

حلم جميـــل من ذهب ... ما زارني حتى ذهــب
أمسيت ذا نشب وقد ... طلع الصباح ولا نشب
ذعر النيـــــام لصائح ... بالويل يصـرخ والحرب
النار تمعن في الحمى ... والناس تمعن في الهرب
والريح تلعب باللهيـــ ... ـــب كأنه احدى اللعب
هجم السعير على المضا ... رب واللصوص على السلب
فوقفت أنظر ما الجحـ ... ـيم وما الابالس عن كثب
وحسبت أن الـكون أجـ ... ـمع قد تضعضع واضطرب
ونظـرت نظـرة ذاهـل ... أودى بحكمتـه العجب
ثم التفت الى الورا ... ء وقست مرحلة الخبب
تلك الاباطح من جهـا ... د والبـواذخ من تعب

***

يا نفس لا تتــوجعي ... اخذ المهيمن ما وهب
ذهب السعير من العما ... رة بالهشيم وبالخشب
ومن الحطـــــام براجع ... والجد يرجـع ما ذهب
ومن الـكتاب بكاغــد ... ومن البراعة بالقصــب
لا بالشباب ولا النشا ... ط ولا الذكاء ولا الادب
ويقيـم ذكرى في المحا ... فل حيث لا يصل اللهب
انا فوق من كدس النضـا ... ر وان خسرت وان كسب
ان التفـــــاوت بالعلو ... م هو التفاوت في الرتب

(*) نكب الشاعر بحريق خسر فيه كل ماجمعه من ثروة في المهجر ، فنظم قصيدة منها هذه الابيات

جمال الربيع (*)

هو ذا الكون فى قشيب ردائه
والحلى ملء أرضـــه وسمائه
الحقول الخضراء القى عليهـــا
باســط الارض مسحة من بهائه
وغمـام السماء يبـكى ولـكن
تضحك الروض كلهـا من بكائه
ايه ما الطف الربيـــع وأبهى
زهره وهو مشرف من خبـائه
كشـــباب الفتى أنيق ولـكن
لهف نفسى على قليـل بقـائه

***

يا رواسى الربى أنا ابن الروابى
وربيب الاشم فى علبـــائه
ذكرينى بموطـــــنى وأرينى
مثـــلا من جمـــاله وروائه
شاعر عن مضارب الريف ولى
ناشـد فيك راحة من عنـائه
جاء يشـكو الى رباك هجيرا
كهجير الحـــجاز فى بطحـائه
فامنحيـــــه برودة ورفاها
وخـذى من مديحه وثنـــائه
أيهذا القطـار تسرع فى الحقـ
ـل فدعنى أهيـم فى خضرائه

(*) يصف الشاعر رحلة فى القطار من تمبيكو الى سان لويس فى بلاد المكسيك

يذهب الطرف والخطى لمعات
فيرى ما أمامه من ورائه
أنت كالعمر ليس يمهل حتى
يتملى الشباب من أشيائه
ليتني كنت فى الحياة هزارا
ناعم البال فى فسيح فضائه
مطلق الجانحين فيه بعيدا
عن اذى المرء عن كثير جفائه
ليس يلهيه والحدائق ملآى
طلب القوت عن لذيذ غنائه
يرتدى من صنيع باريه ثوبا
ما ارتداه ابن آدم فى رخائه
خلق الله للتوجع منى
شاعرا غير باحث عن دوائه
هو فى الارض حيث كان غريب
ليس فى اهله ولا عشرائه
كفراش الحقول ما هو الا
ضائع القلب ؛ شارد الفكر ، تائه
روحه ترقب البعيد وتشكو
قلقا فى عروقه ودمائه

الحمامة الضائعة (*)

أنابك خطب فلم ترجعي
أم الطير تنبو عن المرتع ؟

(*) كان الشاعر قبل مرضه يرى حمامة في البكور تتنقل امام ناظريه على مرتفعات الاسطح ، فلما شفى لم يقف لها على اثر فنظم هذه الابيات .

اسى يا حمـامة فى جانحى
وحزن تغلغل فى الاضــلع
ولو لم يعذب جفونى السقام
لجللت ذكــــرك بالادمع
غداة تركت فراش الضنى
طلبتـــك فى ذلك الموضـع

وساءلت عنك جهات الفضاء
فضاع السـؤال ولم ينفع
هو الفجر عودنى ان أراك
هنـاك على الحائط الارفع
فـكم طلع الفجر ثم انقضى
وعاد وعـدت فلم تطـلعى
لقـد كنت ذاك الانيس الاحب
اذا ما طفرت من المخدع

امتع طرفى بنور الضحى
وبالورد والحبـق الاضـوع
اجل ! كنت ابدع رسـم يلوح
لعينى فى المشــهد الابدع
فكنت أرى فيك رمز الوفاء
ورمز الطهـــارة فى المنزع
وأبصر فيك رسول السماء
يحدث عن قـدرة المبـدع

وقوفك فى شرفات السطوح
وقوف شوقك ان تسجعى
كأنك فى أوجها شـــاعر
اطـل على العالم الاوسـع
وكنت اذا ما شققت الفضاء
بجانحك الخافق الطيــــع

تصـورت انك طـير الخيال
يطـير بعيـدا عن المجمع

***

اذا كنت فى قيد هـذى الحياة
تعـالى الى وعيشى معى
فأنت هنالك رهن الخريف
اذا نقص الحب لم تشبعى
وليس هنـالك أمن فان
رمتك يدا صـائد تصرعى

الغنى والفقر

ليس الذليـل هو الفقير بماله
ان الفقـير بعقـله للذليـل
الشوك محتقر وفيه خضـارة
والورد محتـرم وفيه ذبول
هبط المسيح من السماء وما له
الا مفارة « بيت لحم » مقيل
واتى الحيـاة محمـد لا أمه
بنت الامير ، ولا ابوه نبيـل

قالوا : تحب العرب ؟

قالوا تحب العرب ؟.. قلت : أحبهم
يقضي الجوار على والارحـام
قالوا لقد بخلوا عليك ، اجبتهم
اهـلى وان بخلوا على كرام

قالوا : الديانة ، قلت : جيل زائل
ويزول معه حزازة وخصـــام
ومحمـد بطـل البرية كلهـا
هو للأعارب أجمعـين امام
قالوا : البداوة ، قلت اطهر عنصر
صفت النفوس هناك والاجسـام
الاريحية والشـهامة والنـدى
فى الارض حيث أيانق وخيام . . .
قالوا : الشآم ، فقلت : رؤية وجهها
كنز ، ولثم ترابهـا انعام
وطن لنـا ذكراه نفحة عنبر
وحديث عودتنـا اليه مدام . . .
أرض المهـاجر نحن فى جنبـاتها
ريح تسـير لغـاية وغمـام
واذا تمر بقرية عصـفورة
فعلى السـطوح وقوفهـا الممام
نسـمات واديها ، وعزلة عشـها
ومروجهـا ، وسـماؤها أحلام !

أحمد زكى أبو شادى

١٨٩٢ ـ ١٩٥٥

ان كل بقعة من الارض حل فيها الدكتور ابوشادى كان يخلع عليها من حيويته الدافقة ونشاطه الذى لا يهدأ حلة تبرز فيها آثاره ومعالمه ... ولو أن للديار السنة ـ كما للناس السن ـ لنطقت بقاع من مشرق الارض الى مغربها بجهود أبى شادى فيها ... لقد حل فى انجلترا طالبا للعلم من سنة ١٩١٢ الى سنة ١٩٢٢ فظفر باجازة الطب ، ونال جائزة « وب » فى علم البكتريولوجيا ، وأسس جمعية النيل فى لندن ، وساهم فى تأسيس معهد النحالة الدولى سنة ١٩١٩ ، واشتغل بالتصوير ليجمع فى يده بين ريشة المصور وقلم المعبر .

وحل أبو شادى فى الولايات المتحدة مهاجرا من سنة ١٩٤٦ الى ان توفى سنة ١٩٥٥ فمضى فى كهولته كما كان ماضيا فى شبابه ، فكتب فى الصحف العربية وغير العربية ، وجلجل صوته فى اذاعة « صوت امريكا » مرتين كل أسبوع ، واختير عضوا بمجلس الرابطة الدولية لحقوق الانسان ، ودعته الهيئات الامريكية والمؤسسات الثقافية ليحاضر فى الادب العربى، واسس

بأمريكا رابطة « منيرفا » الشعرية الادبية على نحو ما صنع فى وطنه مصر حينما أسس « جماعة ابولو » وانشأ لها مجلة « ابولو » تنطق باسمها وتدعو لاهدافها سنة ١٩٣٢ .

وظل الدكتور ابو شادى فى حاضره المكتهل ، كما كان فى أفانين الشباب بأمسه ، وظل فى مهجره كما كان فى وطنه ، وكما كان قبل ذينك فى مغتربه بانجلترا ، ينظم الشعر ، ويرسل الاحاديث على أمواج الاثير ، ويلقى الخطب فى المحافل ، ويكب على ريشته والوانه ، ويمضى فى موكب الحياة لم تفل الايام من حد عزمه ، ولم يحطم الزمان وترا من معزفه ، فقد نشر بالامس القريب فى امريكا ديوانه « من السماء » سنة ١٩٤٩ ، واحتفلت جمعية الشعر الامريكى بتكريمه بمناسبة ظهور هذا الديوان فى سنة ١٩٥٠ . والتقى فى الحفل رجال من الشرق والغرب من العالمين القديم والجديد ليكرموا شاعرا مجاهدا عربيا .

وفى روضة الشعر العربى فى المهجر نجد هذه الدوحة المصرية الباسقة من بين دوحات وزهرات لبنانية وسورية ، واذا كنا وقفنا على اسباب الهجرة الى العالم الجديد عند السوريين واللبنانيين ، فان هجرة شاعر مصرى – وحده – الى أمريكا تعد حدثا أدبيا يستحق الاهتمام . ويحدثنا أبو شادى نفسه عن أسباب هجرته مع تمتعه فى مصر بمركز علمى ممتاز فى جامعة الاسكندرية ، فقد شعر – كما يقول – بأن الرجعيين والناقمين بدأوا يعرقلون جهوده ، ويسعون لمطاردته فى عمله الحكومى ، وبدأ الناشرون يرضون الرجعيين بالاعراض عن نشر كتبه ، واحس بالغبن الذى لحقه فى عمله بالجامعة والاضطهاد الذى يلازمه ، وكاد

الهم والمرض يبخعان نفسه فلم يجد غير امريكا ملاذا ومهربا ، فركب اليها البحر فى ابريل سنة ١٩٤٦ ، وبقى بها الى ان نادته منيته هناك فى شهر ابريل سنة ١٩٥٥ .

وكان آخر ما لقيه أبو شادى من الاحزان فى مصر هو موت زوجته قبيل رحلته الى العالم الجديد سنة ١٩٤٦ ، فرثاها بقصيدة مؤثرة يقول فيها

اسديت عمرك للحياة فما وفت
ومضيت للابرار والشهداء
لهفى عليك وقد أنيب مودعا
فبكيت فوق جبينك الوضاء
زاد الممات جماله وتناثرت
منى الدموع عليك كالانداء

ان القيثارة التى وقع عليها ابو شادى كانت غنية بأخصب الالحان ، وقد الهمته امريكا ديوانين مخطوطين هما ديوان « الانسان الجديد » وفيه نفحات من الشعر الوطنى وشعر الحرية التى ذاق حلاوة طعمها فى امريكا وكانت دائما منى نفسه . وديوان « النيروز الحر » وفيه القصائد التى نظمها فى أمريكا من سنه ١٩٥٢ الى يومنا هذا .

ولعل ديوان « من السماء » هو اصدق مرآة للتطور فى شعر ابى شادى قبل هجرته الى امريكا وبعدها بثلاث سنوات . ولعل الديوانين المخطوطين يكونان اكثر صدقا لانهما يغطيان من عمر الشاعر فى مهجره سنوات اطول.

ولم يستطع ابو شادى ـ على الرغم من نزعته التجديدية البعيدة ، وعلى الرغم من وجوده فى جو المهجر الامريكى الجديد ـ ان ينسلخ جملة من شعر المناسبات الطارئة ، والحفلات العارضة . فله قصائد

فى ذكرى المهرجان اللبنـانى الذى أقيم فى ترتنون نيو جرزى سنه ١٩٤٦ ، وفى تحية صحيفة « الهـدى » العربيـة النيويوركية بعيـدها الخمسينى ، وفى مدح حسنى الزعيم ، كما ان له مراثى للشـاعر سيب عريضه ، وعبد المنعم رياض ، وخليل مطران .

لقد كانت جوانب الدكتور زكى ابى شادى متعددة فى الحياة ، فكان طبيبا وبكتريولوجيا ونحالا ورسـاما واديبا وشاعرا . وقد تعددت دواوينـه المطبوعة كما تعددت جوانب حيـــاته . فله « أنداء الفجر » و « الشفق الباكى » و « الينبوع » و « الشـعلة » و « أشعة وظلال » و « فوق العباب » و « أطياف الربيـع » و « عودة الراعى » و « من السـماء » وغيرها ، وله من المؤلفات العلمية والادبيـة غير ذلك كثير ونشاطه فى الصحافة الادبية الراقية تشهد به مجلات : ابولو ، والامام ، وادبى ، ومملكة النحل .

الحق ان مصر كانت أولى أن تضن بأبى شادى أن يخرج منها ، أو يرحل عنها . ولـكن أمريكا استقبلته ـ كما استقبلت شعراء المهجر من قبله ـ وقابله هناك اخوانه العرب فى مهجرهم بهذه الروح التى تبدو فيما كتبه الاديب المهجرى الـكبير الاسـتاذ عبد المسـيح حداد قائلا « ونحن أدباء المفترب الامريكى قد وجدنا به الاخ الحبيب ، بل العليم اللبيب ، الذى أحسن ردنا عن سبيل الفناء الادبى ، الى سبيل اعادة الحياة لادب العرب ، فى هذا المفترب » .

لقد كان ابو شادى يفجأ الناس دائما بحياة جديدة فى ميدان جديد من ميادين العمل المتعددة ، فشاء الله ان يفجاه الموت فى مفتربه بواشنطن يوم ١٣ ابريل سنة ١٩٥٥ .

باقة من اشعاره

نيويورك

نسيت الجنان وسكانها ومن ألهموا الشعر ايمانها
وآثرت عاصمة للكفاح وقد زانها منه ما زانها
كفاح التنافس فى الخالدات تخذن الشوامخ عنوانها
وقدسن مسترسلا فى الطموح اجاد ، واعلين انسانها
تلألأ فيها ضمير الوجود وان سود الدهر جدرانها
تلألأ فيها مكان الخشوع وان زعموا المال ديانها
وللعلم فيها حياة الجموع وان حسبوا اللهو ميزانها
وللطب آياته فى سطوع تضاعف بالشيب شبانها
وللفن منزلة فى الذيوع كان الهواء الذى صانها
وللهو غايته فى الشيوع ولكن ليسعد سكانها
سمت بمتاحفها الغاليات قرونا تكرر اقرانها
وشتى معابدها الحاليات ترتل للسلم الحانها
وابقى معاهدها المعجزات جعلن الحقيقة اوطانها
واقوى معاملها الخالقات غرائب جاوزن حسبانها
وازهى مسارحها الفاتنات بهرن الفنون وفنانها
سعدت بها رغم هذا الكفاح ولولاه كنت كمن خانها
فأصبحت عاشقها المستعز بها والمرتل فرقانها
اغنى لها صلوات الشكور راى فى المصاعب احسانها
وامشى على الطرق الصاخبات فخورا انافس سلطانها
واهوى حدائقها الحالمات قصائد زين ديوانها

كأن السناجيب اطفالها جعلن الاراجيح اغصانها
كأن الفرانيت فى ارضها صوامع حجبن رهبانها
معابد لا معبد للجمال يمس المطوف اركانها
ومن حولها العشب جم الر فيف يجاوب بالعطف تحنانها
كأن الازاهر يقظانة ملائك تحرس كثبانها
كأن الجنادب فى شدوها ندامى تسامر ندمانها
كأن الطيور بتفريدها تلقن للشعر اوزانها
كأن الاشعة رسل الطبيعة تحمل للنبت الوانها
وتضفى على الصخر تحنانها وتلقى على الماء نشوانها
اطوف بها لاهيا ضاحكا كأنى منتهب حانها
وان كان صفوى الذى لا يمل عبادة من عز اوثانها
ومن للوحوش باقفاصها رأى اخوة اسعدوا شانها
فما زارت مرة فى شجى ولا عرف الهم خرسانها
وماشمخت ناطحات السحا ب على السفن تمخر خلجانها
وان سكنت فوق قطر تسير شياطين نافسن شيطانها
تسير بجوف الثرى كالبروق وقد تتجاوز امكانها
حياة تكرر فيها الحياة وهيهات نقدر أثمانها
وعمر تجاوز عمر السنين وكدين تشرب أديانها

ربيع الحر

ربيع الحر اشرق يا ربيعى
وثب فرحا مع الحمل الوديع
ولا تحجب حياء كالعذارى
سناءك أو صلاتك عن سميع
لقد نم الاريج عليك لما
أريق شفاعة الحب الصريع
ونم عليك همس من غصون

ووسوسة البراعم فى خشوع
وسفسفة الغرام تدوب لحنا
بامواج الضياء على الزروع
وآمال السلام وقد تراءت
نجوما فى السماء وفى الربوع
وتحنان الجماد لكل حى
يرف بلهفة الطفل الرضيع
وانداء الصباح مضمخات
بعطر الحسن فى نسق بديع
وآلاف الروائع سافرات
وان خفيت عن الحسن الوضيع
يفيض الجو سحرا عبقريا
تفرد بالاصالة والنزوع
كأن جميع آلهة المعانى
حبته كنوزهن على الشيوع
كأن الكون يخفق فى حبور
خفوق الشعر فى الروح الرفيع
تقدس كل شىء فى عيونى
وقد ران الجمال على الجميع
فكيف اذا سفرت لنا فتيا
بثوب العرس تخطر فى الجموع ؟
وكيف اذا الاناشيد الغوالى
اغثن الروح من ظمأ وجوع ؟
ولقن العبادة كل قلب
واطلعن الشموس من الشموع ؟

***

ربيع الحر اشرق يا ربيعى
وثب فرحا مع الحمل الوديع

كلانا كان فى عنت وضيــــق
يعــانى الاسر فى سـجن منيــع
وكنت معذبا شـــاهت نهاه
وكنت ضحية القــدر الفظيع ...
فعدنا اليوم يجمعنـــا اخاء
وارض لم تسخر للرقيع ...

من وحى الخريف

وافى الخريف فوافت للنـدى صـور
من الجمـــال على عشب واوراق
كانما أودع العشـــاق انفسهم
بها ، فما كشـفت يوما لاحـداق
تلألا الحب فيهـــا وهى باسـمة
تبسم السحر فى الحاظ عشـــاق
ما للعناكب قد فازت بحيلتهـــا
وللحشائش قد رفت باشـــواقى
ولم أزل فى ظمـــائى غير مدكر
وما يبـالى النـدى همى واخفـاقى
ان داعبتها خيوط الشمس راقصة
ذابت نضارا حيـــال اللؤلؤ الباقى
ولم يعد من مرائيها ســوى حلم
كأنما غيرتها فتنـــــة الراقى
غاب النـــدى ونسيم الصبح يعلنه
سرا ابيـح لوجـد الشـاعر الشـاكى
تدرى العناكب ما يروى كما فهمت
كل الطبيعة هـــذا الصامت الحاكى

فان بكت بدموع للنـــدى ذرفت
فقبلهـــا ذرفت فى خاطرى البـاكى
كم للنسيم رســـالات منوعة
يشجى الوجود لها أضعاف ادراكى
كأنما هى ألغـــاز ووســوسـة
على حروب ، وحينـــا همس نســاك

تعنو الفصون صـــلاة فى تجاوبها
وفى تبتلهـــــــا تودى باشراكى
فما أرى غير دنيـــا الحب ماثلة
فيمـــا أرى بين أنداء وأفـــلاك

الالوهة والكون

كل شىء فى الـكون سحر عجيب
والفريب القصى فيـــه قريب
يجهد العلم باحثـــا بينما وفـ
ـق من قبـل واحتـواه الاديب
هكذا كل ذرة من كيــــانى
تحتوى العالم العظيم الشـــان
انا فان وفى المـدى غـير فان
وكيانى هــذا الوجود الرحيب

والاله العظيم هــذا الضـــياء
ومعانيـــه اجملتهـــا الســماء
لا ابتـــداء له وليس انتهاء
او شروق لوحيـــه او غروب
كل شىء من حولنـــا يتحول
ولو ان الخلود طبـع مؤصـل

سوف نحيا على ضروب تشكل
بينما الاصل واحد والضروب
لبنات الوجود موج يدور
قد تجلى به الاله القدير
والجمال الذى به نستنير
غاية للوجود لا تستريب
هو فن ثوى به الفنان
هو كون أرواحه الابدان
هو معنى ما فاته الامعان
وتناهى اليه شعر حبيب
ما ابتهالى الا ابتهال لنفسى
فأنا ملهم جنانى وحسى
وحنانى الى الاله وقبسى
من سناه استجابة لا تخيب

الصعود

أسفا ، أعود الى السما ء كما أتيت بنبع فنى
لم ألق فى دنيا الانا م سوى المهازل والتجنى
دنيا تقوم على الدما ء وبالدماء هوى تغنى
وتدور طاحنة عقو ل النابهين ، وأى طحن !

ويسوسها البلهاء من غبن تعانيه لغبن
ومن الخراب يهزها هزا الى ضغن وضغن
الارض كم شقيت بهم كشقاء موتور بأين

وهبت لهم أسنى الكنو ز فكافأوها بالتدنى
صلبوا المسيح وشردوا الـ أحرار بين الخافقين
وحياتهم نقض الحيا ة تسام فى شك ومين

كم أولعوا بالهدم والـ ـهدام لا يسمو ليبني
ولو انهم عقلوا جنـوا من نارهم جنات عدن
فالى السماء اعود لم يفن التـأنى والتمنى
فحروبهـا اجـدى واو فى للحيـاة وكل فن
وسـلامها ابقى وانـ ـقى للوجـود المطمئـن
ان تعتبـر منفـاى فا لمنفى أبر اذن بذهنى
ولعل امى الارض فى الـ ـحالين فى ذهنى وعيـنى

الفصل الثانى

شعراء المهجر الجنوبى

اليـــاس فرحـــات

١٨٩٣

ان الشـــاعر الياس فرحات بين شـــعراء المهجرين الشمالى والجنوبى هو اقلهم نظما فى شعر المناسبات ،

واين من مناسباته القليلة المعدودة مناسبات الشاعرين محبوب الشرتونى ، ومسعود سماحة من شعراء امريكا الشمالية ؟ أو مناسبات الشاعر الفحل رشـــيد سليم خورى ـ الشاعر القروى ـ التى ملأ بها أكثر من مائة وثمانين صفحة فى باب « المحافل والمجالس » فى ديوانه الضخم الـــكبير ؟

لقد اقل فرحات من المدح وشعر الحفلات والمواسم والمجالس والمراثى والمفاخرات ، واتجه بكل قلبه الى الشعر الخالص ، ولم ينظم فى المناسبة العـــامة الا اذا هزته هزا عنيفا . على أن هذا الشعر الصافى الحر لم يخل من خطرات الحكمة والمثل يرسلها الشاعر فى خلال القصيدة وتكثر هذه الظاهرة فى شعر فرحات كثرة تذكرنا بالحكم والامثال فى شعر المتنبى

واذا كان بين فرحات وبين المتنبى مشابه من المثـــل السائر والحكمة المرسلة ، فان بينه وبين زهير بن أبى ســـــلمى مشابه من حيث تنقيح شعره ونخله قبل

نشره .. فقد أسقط من شعره ضعفى ما أثبته فى ديوانه المطبوع فى سان باولو سنة ١٩٣٢ . ولكنه لايزال الى اليوم ـ على كبره من السن جاوزت السبعين ـ يغنى أرق الحانه ، فلم يجف الوتر الصافى اللين الذى فى لهاته ... فله فى مجلة « الشرق » البرازيلية العربية الانيقة قصيدة فى عدد يناير سنة ١٩٥٤ يقول فيها :

فر عصفور شبابى من يديا
تاركا فى مهجتى جمرا ذكيا
طالما أوحى فغنيت على
مسمع الليل نشيدا عبقريا
كان ان أطلقته فى جنة
يلثم الزهر ويرتد اليا . . .

***

الفراشات اختفت مذ جف ما
كان فى روض الصبا غضا طريا
والظباء البيض ظمأى نفرت
خيفة أن لا ترى عندى ريا
يا فراشات الامانى ارجعى
ترجعى لليائس العيش الرخيا !

وقد يرجع المهاجر الغريب الى وطنه ، ويئوب الى أرضه كل نازح ، ولكن الصبا الفض وفراشاته الحالمة لن ترجع ! ..

ولقد علمت الحياة الياس فرحات بدروسها وتجاربها أكثر مما علمته المدارس القليلة الضئيلة التى تعلم فيها المبادىء الضرورية من القراءة والكتابة ... فهو الوحيد بين شعراء المهجر الذى لم يتلق دراسة مدرسية منظمة متصلة ، فقد ترك مدرسة موطنه كفر شيما الى مدرسة الشويفات حيث أقام فيها سبعة أيام ، ومن

هناك انتقل الى مدرسة فى وادى شحرور لم يقم فيها الا شهرا واحدا! ودع بعده المدارس والتعلم وجرس المدارس المطرب فى السراح ولكنه اذا جد غير مطرب ، كما قال شوقى !

غادر فرحات وطنه سنة ١٩١٠ مهاجرا الى البرازيل ملتمسا الرزق طالبا العيش ـ كما هاجر اخوان له من قبل ـ فلقى من العنت والكفاح ومرارة الصراع فى الحياة ما لم يتغلب على روحه الشاعرة ، بل أحالها الى نغمة مؤثرة معبرة فى الادب العربى الحديث . وقصيدته « حياة مشقات » تصور لنا فى تعبير بليغ قوى قصة ذلك الكفاح المر الذى لقيه الشاعر فى المهجر ... فقد كان يستقطر ماء الرزق من صخرة قاسية ماشيا بين الفيافى والمروج الفساح ، أو راكبا عجلة تسير على الصخور الصلد ، وترقص فوق نواتىء الحصا فتكاد ترمى براكبيها الى الارض ... وقد كان يقضى الليل فى أكواخ خلت من أهلها ، وقام البوم عليها نادبا باكيا ، والنجوم تطل من سقوفها المثقوبة وجدرانها المفككة الاوصال . وهناك فى غمرة الصراع الاليم فى الحياة لم ينس فرحات وطنه لبنان ، ولا قريته الصغيرة اللبنانية « كفر شيما » التى أنجبت للأدب العربى آل اليازجى اللغويين ، وآل شميل المفكرين ، وآل تقلا الصحفيين الذين تشهد «الاهرام» فى مصر بعبقريتهم الصحفية فكان من اجمل هدايا كفر شيما للشعر العربى ان انجبت الياس فرحات ليحمل هو والشاعر القروى ـ ابن البربارة ـ راية الشعر فى أمريكا الجنوبية ...

وفى سنة ١٩١٦ ـ وبعد بضع سنين من الهجرة ـ لم يكن الياس فرحات فى روضة الشعر العربى فى المهجر

الجنوبى الا نباتا غضا ضئيل الورق نحيل الساق، فاذا به بعد ذلك دوحة باسقة أو طائر غرد قوى الجناح بعيد التحليق يسمعنا ارق الالحان فى عبارة بليغة ، وقافية متمكنة رصينة غير قلقة ولا نابية ، وفى نسج محكم مسرود ، مع أنه غادر لبنان غلاما ينظم الزجل العامى ، ويقرأ الميسور من المكتوب ، ويجهل أصول العربية ــ نحوها وصرفها وبيانها ــ جهلا يكاد يكون مطبقا ...

وفى السنة التاسعة من هجرة فرحات الى البرازيل اشترك مع توفيق ضعون ، الاديب الناقد المتمكن ، فى انشاء مجلة « الجديد » التى ظهر أول اعدادها سنة ١٩١٩ . ويظهر ان الصحافة ــ كالتجارة ــ تجرى فى دماء اللبنانيين وبين أصلابهم ! وظلا يعملان فى «الجديد» الى أن انفرد توفيق ضعون باصدار مجلة «الدليل» فى اول ابريل سنة ١٩٢٨ .

وللشاعر فرحات قصيدة « خصلة الشعر » التى سارت مسير الشمس فى الآفاق منذ أكثر من ثلاثين عاما ، فاتخذها الشباب العربى ترنيمة لحبهم ... ولم نثبتها هنا لانها ليست من اروع ما نظم ولا من ارصن ما قال ، وقد كاد هو نفسه يسقطها من ديوانه الذى طبع سنة ١٩٣٢

ولقد حالفت الايام ــ بآخرة من العمر ــ الشاعر فرحات ، فقر قراره فى بيت ابتناه فى احدى البقاع بالبرازيل ، وأذن الله للشاعر الجواب أخى الاسفار فى الفلوات أن يهدأ ...

فألقت عصاها واستقر بها النوى
كما قر عينا بالاياب المسافر

ولقد احسن الشاعر فرحات حين طبع شعره كله اخيرا فى أربعة دواوين ظهرت فى سان باولو بالبرازيل

سنة ١٩٥٤ ، نحمل الاسماء الاربعة التالية «الربيع» و « الصيف » و «الخريف» . و « رباعيات فرحات».

وقد ترك الشاعر الشتاء ، ولعل بيتيه فى اول ديوان « الربيع » يعللان هـذا الترك اللطيف

هـذا الربيـع نظمتـه مترنحا
والنفس تمرح فى ربيـع صبائها
فاذا بلغت شـتاءها حدثتكم
عن صيفها وخريفهـا وشتائها

وفى سنه ١٩٦٤ صدر عن دار الراصد ببيروت كتاب « عودة الغائب » وهو الكتاب الذى يصف فيه الشاعر رحلتـه من المهجر الى أرض الوطن ، كما يصف الاحتفالات التى اقيمت لتكريمه فى لبنان وسوريا ومصر عام ١٩٥٩ ـ ١٩٦٠ . كما اصدرت له وزارة الثقافة والارشاد القومى بسوريا كتابين أولهما «قال الراوى» سنة ١٩٦٥ . وهو مذكرات وسيرة حياة ، ورحلات . وثانيهما ديوان « فواكه رجعية » سنة ١٩٦٧ وقد كتب مقدمته الاستاذ وديع فلسطين .

ويمتاز فرحات بخفة ظله فى نثره كما هو خفيف الظل فى شعره ، ولقد انعقدت بيننا وبينه مودة لما جاء الى مصر زائرا سنة ١٩٦٠ أشـار اليها فى كتابه « عودة الغائب » ، ولما اقعدته ظروف طارئة عن ان يستقبل ابنائى الثلاثة المهندسين المغتربين بالبرازيل سنة ١٩٦٨ : نبيل وزوجته بشرى ، ويحيى ، وهانىء اراد ان يعتذر من ذلك شعرا ، فكتب الى الابيات التالية

محمد أهلا « بالنبيل » وزوجه
وصنويه . أهلا بالشباب المهذب !

لئن كنت لم اذهب اليهم فانني
لأذهب في تقديرهم كل مذهب
ابوهم له عنــدى أياد وشيمتى
نرد الى الابنــاء ما كان للاب
ولـكن دهرا كبلتني صـــــروفه
وصالت على ضعفى بناب ومخلب
اقام قصورى حائلا دون رغبتى
واوقف عجزى حائطا دون مأربى ...

باقة من أشعاره

السكرة الخالدة

سكرت بعينيك منذ الازل
وها انا فى سكرتى لم أزل !
الا تذكرين الزمان القديم
الا تذكرين العصور الاول ؟
الا تذكرين بأنا وجدنا
محبين قبل وجود الغزل ؟
وانا شهدنا سقوط العروش
وانا شهدنا قيام الدول ؟

***

تحولت فى الروض من زهرة
الى نحلة لا تطيق الكسل
وكنت رفيقك فى الانقلاب
وعونك عند ازدياد العمل
نطير الى الروض عند الصباح
وننقل من زهرها ما انتقل
ونحتال فى صنع تلك الشهاد
وان قوام الحياة الحيل
ومن ذلك الوقت كنت تحلين من صدر صبك أسمى محل

وفاجأنا الموت يوما فمتنــــــا
ولـكن مماتا قصـــــير الاجل
وكان الوجود الجديد نعيـــــما
لبسنا به زاهيـــــات الحلل
فصـــيرنا الله زوجي حمـــام
نغنى الضحى ، ونغنى الطفــل
وفى ليلة من ليالى الشـــتاء
وقد هطل الثلج مع ما هطـل
أضعتك بين الغصــــون ومن
أضــاع الرفيق أضاع الجذل !
فناديتك الليـــــل حتى انجلى
وناديتــك العمر حتى اضمحل

***

أخيرا خلقت بشـــــكل امرىء
يقلب بين نيـــــوب الوجــــل
ويذكر عهـــــدا قديما مضى
فيـــذكر حبـــا قديما رحل
ففتشت عنك مأوى الحمــــام
زمانا فـكان نصيبى الفشـــل
فعـــــدت وفى مهجتى لوعة
أفتش عنـــك القرى والحلل
ولمـــا التقينـــا بذاك المسـاء
وكنت كأنك نجم أطـــــــل
ســـألتك باللحظ هل تذكرين
الزمان القــديم ؟.. فقلت أجل !

***

فيـــــا لسرور المحب الذى
سـعى يبتغى مبتغى فوصـــل

ويا لابتهاجي بفتانة
تعود العليل فتشفى العلل
يسائلنى الصحب عن رسمها
وما رسمها صورة تبتذل
وان المصور مهما أجاد
تظل الاجادة دون الاقل
فكم صوروا المقل الساحرات
وما صوروا سحر تلك المقل
وكم صوروا قبل العاشقين
فهل صوروا طعم تلك القبل ؟

وهل من يصور نشر الورود
اذا صوروها حسانا ؟ وهل ؟
ولكنني شاعر بيراعى
كسوت المصور ثوب الخجل
فصورتها بجمال المعانى
ولونتها بمعانى الجمل !
ففى خلقها كل لطف النسيم
وفى خلقها كل انس الحمل
وفى شعرها كل عطر الرياض
وفى ثغرها كل طعم العسل !

وفى لفظها خير ما فى الكروم
وما فى كئوس قسوس الجبل
وفى وجنتيها ، وفى مقلتيها
خضاب الحياء ونور الامل
تغنى فيأخذ عنها الهزار
وتمشى فيأخذ عنها الحجل
فيارب صنها لهذى الصفات
تصن صبها عن مهاوى الزلل !

الراهبة

اطلت من الدير عند الضحى
وفى ناظريها بريق الاسى
فتاة كأن الاله براها
ليجعلها فتنة للنهى
ولكنها فى صباح الحياة
علا وجنتيها شحوب المسا
رماها الزمان بهجر الحبيب
فداوت ضلال الهوى بالهدى
تصلى فتحسبها دمية
من العاج ساجدة للدمى
وتلثم تلك الدمى بخشوع
فيوشكن يلثمنها من جوى
تحاول نسيان محبوبها
وزهو الشباب وعز الغنى
واقسى من الحب كتمانه
وانكى من الهجر فقد الرجا

***

ولما بدت شمس ذاك النهار
بدت خارج الدير ذات التقى
تجمع من حوله ضمة
من الزهر تهدى لفادى الورى
فبينا تسير على مهلها
وتجمعها من هنا وهنا . . .
وقد عانق الورد فى كفها
حسان الشقيق عناق الهوى

رات زهرة فى أعالى الجدار
تداعبها نسمات الصبا
فاعجبها شكلها المستطيل
ولون كقوس السحاب زها
وقد زاد فى قدرها أنها
تعز على من يريد الجنى
فحرك منظرها نفسها
وقالت بملء الحنان لها
اخية يهنيك هذا السمو
وهذا البهاء وهذا الرضى
ولكن أما كان أشهى لديك
جوار الازاهير بين الربى ؟
تحوم عليك بنات القفير
وتسعى اليك صبايا القرى
وتسمعك الطير انشادها
ومنه الحجاز ومنه الصبا
لأنت تعيشين فى عزلة
فلا فى السماء ولا فى الثرى
لمن خلق الله هذا الجمال
ومن يتنشق هذا الشذى ؟

***

وفى الليل سارت الى خدرها
وفى قلبها مثل نار الغضا
ولما نضت ثوبها لتنام
تبين من حسنها ما اختفى
فمدت الى صدرها كفها
وقد فتح الورد تحت الندى
وقال لها قائل صامت
وكان الذى قيل رجع الصدى :

وانت تعيشين فى عزلة
فلا فى السماء ولا فى الثرى
لمن خلق الله هذا الجمال
ومن يتنشق هذا الشذى ؟

لولا ضميرى

توالت هموم الحياة عليا
ولولا ضميرى لعشت خليا
***
فكم ثروة تعجز الحاسبا
تسلمت وهى لبعض التجار
فقلت أفر بها هاربا
فقال ضميرى حذار ! حذار !
فأرجعتها وغسلت بديا
ولولا ضميرى لكنت غنيا . . .
***
وبكر أتت حجرتى موهنا
تقود خطاها غرور الصبا
فقلت : سأبلغ منها المنى
فقال ضميرى : ألست أبا ؟
فأغمضت عن حسنها ناظريا
ولولا ضميرى جنيت الشهيا
***
وسابقت فى الشعر فرسانه
فقصرت عن فارس مفلح
فقلت : أعرقل ميدانه
فقال ضميرى : ألا تستحى ؟

فعدلت حب التفـــوق فينـا
ولولا ضميرى تركت دويا . . .

***

شكوت ضـميرى شكوى الجهول
ونحت على الحظ نوح الغراب
فاسـمعنى الله صــوتا يقول :
اتشكو ضميرك يا ابن التراب ؟
ولولا ضـميرك ما كنت شـيا
ولو كنت من نيرات الثـــريا !

يا عيـد

يا عيـــد لا تنــكر غنـــاى فانما
أنا بلبل مسخ الزمان صـــداحى
قد كنت اشرب بالثغور اذا دعا
داعى السرور ، وليس بالاقداح
واذا المرافع اقبــلت الفيتنى
فيها اخا طرب ، طليق جناح ..

***

يا عيــــد عدت وادمعى منهلة
والقلب بين صـــوارم ورماح
والنفس يائســـة فليس بنافع
عذل العذول وغيرة النصـــاح
والصدر فارقه الرجاء فقد غدا
وكأنه بيت بلا مصبـــــاح

***

يمشى الاسى فى داخلى متغلغلا
بين العروق كمبضـــع الجراح

وتظل تلوينى عواصفه كما
تلوى الرياح بواسق الادواح
وتشدنى كف القنوط ملحة
فأطيع خوف زيادة الالحاح !

***

يا عيد ليتك تحمل الاخبار من
متخلفين قسوا على نزاح !
ويلاه ! قلت قسوا وما ادرى أهم
فى الارض ام فى عالم الارواح
اماه ليت مع النسيم رسالة
تأتى فترجعنى الى افراحى !
مرت ليالى العيد بى وكأنما
وجه العبوس بوجهها الوضاح
وكأن زاهر فِجرها لكآبتى
ليل يعج بأقبح الاشباح

***

أنى التفت ارى الخلائق تحتسى
راح الصفا وانا المدامع راحى
فكأنهم قد أودعوا اتراحهم
فى مهجتى ، فتضاعفت اتراحى !

خيال الوطن

الى انتظرت القمر أشكو له امرى
فازددت لما ظهر جمرا على جمر
هذا خيال الوطن فى وجنة البدر
سموه محوا ومن سماه لم يدر

***

هذى سفوح التلال هذى أعاليها

هـذى عيون الجبال تجرى مآقيها
هـذى مراعى الظبا هـذى مآويها
هـذى ديار الصبا يا ليتنى فيها !

***

أهل الحمى . والحمى فى ذمة الله
والصب يشكو الظما والمرتجى لاه
كم ذا المحب اشتكى للكوكب الزاهى
يزجى البكا بالبكا والآه . . . . بالآه !

***

يا رب ! هـذا النوى يستنزف العينا
بنا فلج الهوى ما أصعب البينا !
ان كنت تأبى اللقا ما بين جسمينا
فاجمع بروح التقى فى البدر رسمينا !

***

جنات لبنان يا جنات لبنان
ان جف عنك الحيا رونك أجفانى
مدى ظلال الوفا فى ارض غسان
واحمى ثمار الصفا عن كل خوان !

***

جنات لبنان هـذى غوطة الشام
يختال فوق السهى ريحانها النامى
كم من فتى مهتد للمجد مقدام
يروى ثراها الصدى من جرحه الدامى ...

منابع الشعر

يقولون عمن أخذت القريض
وممن تعلمت نظم الدرر ؟

واين درست العروض وكيف
تلقفت هذا البيان الاغر
وما كنت يوما بطالب علم
فانا عرفناك منذ الصغر !

***

فقلت اخذت القريض صبيا
عن الطير وهى تغنى السحر
وعن خطرات عليل النسيم
يمر فيشفى عليل البشر
وعن ضحكات مياه الجداول
فوق الجلامد تحت الشجر
وعن زفرات المحب الاديب
يزاحمه الموسر المحتقر
وعن نظرات الحسان اللواتى
يكدن يفلقنها فى الحجر !
وعن عبرات الحزانى الضعاف
ففى عبرات الحزانى عبر !

***

كذاك تعلمت نظم اللآلى
لفرط الغرام وطول السهر
فانى سهرت كثيرا وكنت
الى النيرات اطيل النظر
وان الكواكب كانت تغيب
وتبقى بقلبى جليل الاثر
فهذى القصائد منها السماك
ومنها الثريا ، ومنها القمر !

***

لئن كنت لم ادخل المدرسات
صغيرا ولا بعد هذا الكبر

فـذا الـكون جامعـة الجامعات
وذا الدهر اســـتاذها المعتبر
ففى المبـكيات بيـان جميـــل
وفى المضـــحكات معان غرر

وفى كل ما يبـــصر المبصرون
دروس تنـــــار بهن الفكر
فمن يحى يوما ولا يستفيـ
ـد اعمى البصيرة اعمى البصر

حيـاة مشقاب

اراقب فى الظلماء ما الليـل يحجب
واقرا فى الاســـحار ما الله يكتب
واستعرض الايام يومى الذى مضى
دليـــل على يومى الذى اترقب
فلا تسـألوا عني وحظى فاننـــا
لامثـال اهل الشرق والغرب مضرب
طوى الدهر من عمرى ثلاثين حجة
طويت بها الاصـــقاع اسعى واداب
اغرب خلـــف الرزق وهو مشرق
واقســــم لو شرقت كان يغرب
وانفر من واد لطـــود كأنني
وقد بوق الداعون للصـيد ربرب !

لئن غردت للشـــــاعرين بلابل
فان غراب الشـــؤم حولى ينعب
وان كان علمـا ثابتـا قول بعضهم
لـكل امريء نجم فنجمى المذنب ..

ومركبة للنقـــــل راحت يجرها
حصـــانان محمر هزيل وأشهب
لها خيمة تدعو الى الهزء ، شدها
غرابيـــل أدعى للوقار وانســب !
جلســـــت الى حوذيها ووراءنا
صـــناديق فيهـــا ما يسر ويعجب
حوت ســـلعا من كل نوع يبيعها
حتى ما استحل البيـع لولا التغرب
وراحت كأن البـــــر بحر نجاده
واغواره امواجـــــه ، وهى مركب
تبين وتخفى فى الربى وحيـــالها
فيحســـبها الراءون تطفو وترسب
وتدخل قلب الغـــاب والصبح مسفر
فتحسب أن الليـــل لليـــل معقب
تمر على صم الصـــــفا عجلاتها
فنسمع قلب الصخر يشكو ويصخب
وترقص فوق النـــاتئـــات من الحصى
فنوشـــك من تلك الخـــلاعة نقلب !

نبيت بأكواخ خلت من اناســـــها
وقام عليهـــا البوم يبكى وينـدب !
مفككـة جدرانهـــا وســـــقوفها
يطل علينـــا النجم منهـــا ويغرب
عليهـــا نقوش لم تخطط بريشـــة
تظن صباغا لونها ، وهو طحلب !

يغنى لنـــا فيهـــا الهواء كأنه
ينومنا ، والبرد للنـــــوم مذهب
فنمسى وفى أجفاننا الشوق للـكرى
ونضحى وجمر السـهد فيهن يلهب

وماكلنا مما نصيـــــــد . وطالمـا
طوينا لأن الصيـــــد عنا مغيب
ونشرب مما تشرب الخيـــــل تارة
وطورا تعاف الخيل ما نحن نشرب !
حيـاة مشـقات . . . ولـكن لبعدها
عن الذل تصفو للأبى وتعذب .

***

وقد نلتقى بعض الجميلات صـدفة
فيطربننـا والمبـدع الفيـد مطرب
وكل مكان فيـه للحســـن مرتع
وللطرف ملهى فيـه للحب ملعب
وما تلتقى عينـا فتـاة حييـــة
وعينـا فتى الا لـكوبيـد مأرب !
وهل انا الا شـــاعر لان قلبـه
فليس له من صولة الحسن مهرب ؟
نفتنى من المدن العواصـــم عزتى
فرحت بأطراف الولايات أضـــرب
أعاشر من لو عاشر القرد بعضـهم
لمـا رد عن « دروين » قبر مقبب
وأنصت مضـــطرا الى كل أبله
كأنى بأسرار البـــلاهة معجب !
واكره أشياء رفيـــقى يحبهـــا
وارغب فى اشـــياء عنهن يرغب
وارهب قطـاع الطـريق . . . وربما
تعمدت اظهـار السلاح ليرهبوا . . .
فعز الفتى الطاوى الفيافى مسـدس
كمـــا ان عز الليث ناب ومخلب
وما صـين حق لا سـلاح لربه
وأضعف أنواع السلاح التأدب . . .

ولولا نيوب الاسد كانت ذليلة
سباط . ونعنو للسكيم ونركب
وكم ظالم يستعبد الناس عنوه
وحجته الكبرى الحسام المشطب .

***

اقول لنفسي كلما عضها الاسى
فالمها صبرا ففى الصبر مكسب
لئن كان صعبا حملك الهم والاذي
فحملك من الناس لا شك أصعب
فلولا اباء مازج الطبع لم يكن
لمثلى مجىء فى البرارى ومذهب

ولولا رجائى أن نظلى بعيدة
عن الضيم لم يوطا برجلى سبسب
فلا تعذلى صحبا دروا بى وما عنوا
بامرى فهم منى الى الفقر اقرب
ولا تأملى من غير صحبى معونة
فما تخصب الكفان والقلب مجدب

ولا ترتجى الاخلاص من كل باسم
ففى الباسمين المبغض المتحبب
ولو كان كل المظهرين لى الوفا
وفيين لم يعجزك يا نفس مطلب . . .

عتبت على ناس أضاعوا مودتى
وكل كريم خانه الصحب يعتب
فقد زعموا انى هجوت حبيبهم
وأنى ساهجو غيره حين اخطب
ولست بهجاء . . . ولكنه الهوى
اذا قاد نفس المرء فالنور غيهب

انا من يرى ان الرياء معـــرة
وان خبيث القول فى الصدق طيب
وما انا الا كالزمان واهـــله
أعاف واستحلى . وارضى وأغضب
فأى هجاء فى مقـــالى لعقرب
له ولع بالشر ! انك عقــرب !
فيـــا نفس الا انت مالك واعلمى
بأن كل برق غـــير برقك خلب
تعبت اذ استنظرت خيرا من الورى
ومستقطر السلوى من الصاب يتعب

يارسول الله (*)

غمر الارض بأنوار النبـــوه
كوكب لم تدرك الشمس علوه
لم يكد يلمع حتى أصبحت
ترقب الدنيا ومن فيهـا دنوه
بينما الكون ظـــلام دامس
فتحت فى « مكة » للنور كوه
وطمى الاســـلام بحرا زاخرا
بأواذى المعـــالى والفتـــوه
من راى الاعـــراب فى وثبتهم
عرف البحر ولم يجهـل طموه
ان فى الاســـلام للعرب علا
ان فى الاســـلام للنـاس اخوه
فادرس الاســـلام يا جـاهله
تلق بطش الله فيه وحنـــوه

(*) انشدها الشاعر المسيحى فى حفل عيد المولد النبوى بسان باولو

يا رسول الله انا امة
زجها التضليل فى اعمق هوه
ذلك الجهل الذى حاربته
لم يزل يظهر للشرق عتوه
قل لأتباعك صلوا وادرسوا
انما الدين هدى والعلم قوه

يا أمي !

قطع البريد على حلم لقاك
ونعى السرور الى حين نعاك
وا رحمتا لبنيك حولت النوى
اهداب أعينهم الى اشواك !
كانوا يرجون اللقاء فغيرت
مجرى الحوادث دورة الافلاك
فجعوك يوم دعت مصاحبة العلا
بفراقهم ، ففجعتهم برداك
ما كان أتعسهم غداة تفرقوا
عن عشهم والصادحات بواك
وأبو الصقور على فراق فراخه
فى غمرة مع دهره وعراك
يرجو فلا يسع الفضاء جناحه
ولكم رماه اليأس فى الأشراك
لهفى عليه مضى بداء حنينه
وبقيت صابرة على بلواك
ان كان أهلكه الفراق فانما
أمل اللقاء هو الذى ابقاك
أنفقت عمرك ترقبين رجوعنا
وتجوس كل سفينة عيناك

وتحملين الريح كل رســـالة
خرســـاء لقنهـا فؤادك فاك
ما مرت النسمات بى عند الضحى
الا عرفت بطيبهــــــا رياك
والبـدر لم يظهر لعينى مرة
الا قرأت بوجهــــه نجواك !

وهواتف الروض الطروبة ما شدت
الا ســمعت بشـدوها شـكواك
اشقى النســاء على الثرى أم قضت
ايامهـــا فى وحـدة النســاك
أبنــاؤها ملأوا البيوت وبيتهـا
خال من الحداث والضـــحاك
ســحروا بمزعوم الغنى فتحولوا
صورا على الجدران دون حراك
الاذن توهمها ســماع حديثهم
والعين تنذرها نهاك ! نهاك !

ترنو الى الافق البعيـد بمقلة
تبغى احتــراق دوامس الاحلاك
وتسائل الاقمــار : أين محلهم
ومتى يكون من الاسار فكاكى
ركبوا الخضم الى النضار فليتنى
القيت نفسى فيه للأســماك !
وقضت ملوعة الفؤاد وعينهــا
تجتال بين البــاب والشبــاك
أماه ! ليس على الغريب ملامة
بعض الذى يدهى الغريب دهاك
حمل الذى حملت من الم النوى
وعنا لسيف الغربة الفتـــاك

انا خدعنا بالسراب . . . وطالما
خدع الصدوق بمظهر الافاك
وجنى علينا المال شر جناية
والمال شيطان بشكل ملاك !
تنهار آمال الشباب لأنها
تبنى على اسس لهن ركاك
والدهر يأخذ من حياة ربيبه
تمن الذى يعطيه من ادراك
شبنا وغيرت الخطوب وجوهنا
وتعكر الصافى ، وحال الزاكى
لم يبق فينا من طفولتنا سوى
ومضات برق من شعاع هداك
ربيتنا عربا ، وحولك نسوة
اولعن بالافرنج والاتراك !
واريتنا أن الفضائل جمة
واحبهن اليك صون حماك
لبيك ! انك لو دعوت الى الظبا
والى المراقم ميتا لباك
زادت وفاتك فى الشآم جهادنا
من ذا يبيح ثرى يصون ثراك ؟ !

***

أماه يا فخر البنين تحية
منا عليك لها شذا ذكراك
حسب المهاجر لوعة أن الاسى
يقضى عليه ، ولا يرى مثواك !

وطن الجمال

احتفلت بلدة « كفر شيما » فى لبنان صيف سنة

١٩٥٩ بعودة ابنها الياس فرحات لزيارتها بعد غربة امتدت الى تسعة وأربعين عاما . وفي حرارة اللقاء وابتهاج المحتفلين بأوبة الغريب ألقى شاعرنا قصيدة طويلة رائعة قال في مطلعها :

سلست لي الاقدار بعد حران
واعاضني مما فقدت زماني
هذي ملاعب صبوتي ارتادها
متنصتا فيها لهمس جناني
في كل منعطف حديث حداثة
متسلسل منه معين معاني
اشباح ماضي البعيد قريبة
مني تقابلني بكل مكان
وتضج في الذكريات مزيلة
ما كان في الهجران من نسيان
لبنان يا نفس الخزام ضحى ، ويا
قبل الندى للنرجس الظمآن

عاد ابنك النائي اليك وقلبه
يروي حديث الشوق بالخفقان
عيناه تائهتان باحثتان في
دنياك عن رفقائه الفتيان
يمشي هنا وهناك وهو محدق
للناس والاشياء كالحيران
متلفت : متسائل عن صحبه
وبصحبه لعبت يد الحدثان
أين الصبايا الحالمات ولم يكن
وضح الغرام لهن بالصبيان ؟
أين الذين تركتهم عند النوى
في السفح بين الكرم والبستان ؟

اين الرفاق المشرقات وجوههم
لسلامة الارواح والابدان
ذهبت بهم ، هذا الى لا رجعة
ترجى ، وذاك لرجعة بهوان
عاش المهاجر فى المهاجر شاكيا
بل حاسدا من مات فى لبنان
باع الشقى شبابه بنقودها
بيع المغامر حنطة بزوان
لو عاد بالدنيا العريضة بعد ما
فقد الفتوة عاد بالحرمان
ان الفتوة فى الحياة حديقة
مخضلة فى مهمه حران
ان الشيوخ المبعدين عن الهوى
والموميات لدى الهوى سيان
ان لم تجد فيك الحسان بقية
من روعة لم يجدك الثقلان !
فانظر لقدرك عندهن فانت من
نظراتهن اليك فى ميزان
وتلق مبرم حكمهن بحكمة
وتقبل التنفيذ باطمئنان !

***

لبنان يا وطن الجمال تحية
تغشى ربوعك مع شذا نيسان
يا مهد أحلام الشباب ومصدر ال
حب البرىء وهيكل الايمان
انى اراك فتى اشد فتوة
من عهدك الماضى ، فكيف ترانى ؟ !

الشاعر القروى

١٨٨٧

قد تكون الترجمة لشاعر او اديب أمرا صعبا اذا عزت مصادر حياته ، ولكن قد يكتب الشاعر أو الاديب لنفسه ترجمة ذاتية ليهون على الناس امر سيرته ، فيزيدهم صعوبة من حيث أراد التسهيل عليهم ... لانه قد يكاشف الناس من مستور أمره وخصوصية شأنه بما يحير الذين يودون الكتابة عنه ، أو التعريف به ... وكذلك شأننا اليوم مع الشاعر القروى « رشيد سليم الخورى » .. فقد كتب ترجمة حياته بقلمه هو فى مقدمة ديوانه الضخم « ديوان القروى » الذى طبع فى البرازيل سنة ١٩٥٣

ولقد كان الشاعر القروى صريحا كل الصراحة حين ترجم لنفسه ، فولج معنا اعماق نفسه وحناياها ، وصورها على حاليها ... بخيرها وشرها ، وبعصمتها ونزواتها .. حتى لم يدع سؤالا لسائل ، ولا فضلة لمستطلع ، ولا شهوة لصاحب فضول !

ولد شاعرنا بقرية البربارة من جبل لبنان سنة ١٨٨٧ ، وقد ورث الشعر عن ابيه الذى كان له فى النثر والنظم بعض الاجادة ، وورث من قريته رخامة

الصوت التى تميز أهلها جميعا . ومن هنا كان الشاعر ينشد أشعاره على أوتار العود الذى يحتضنه ، كما كان يفعل شعراء الغناء فى العصر العباسى ... وتعلم فى قريته ، ثم فى مدرســـة الفنون الامريكية بصيدا ، فالكلية السورية الانجيلية ببيروت ، وانتهى من حياة التعلم ليشـــتغل معلما فى مدرستى طرابلس والمينا الامريكيتين ، فالكلية الشرقية فى زحلة ، فمدرسة الامريكان فى سوق الغرب . ورسالته فى التعليم تذكرنا برسالة الشـاعر محبوب الشرتونى من شعراء المهجر الشمالى ، ولا يعرف المترجم له من اللغات الاجنبية غير نزر من الانجليزية والبرتغالية ، أما العربية الصحيحة الفصيحة فهى لغة ثقافتــه ، وقد تمنى لو يطول به الاجل ليغترف من كنوزها المخبوءة وخاصة عن المغتربين

ولقد هاجر الشاعر من وطنــه الى البرازيل سنة ١٩١٣ باغراء من عمه المهـاجر من قبل . وقد أحجم الشاعر أول الامر خشية أن لا يكون فى المهجر سماء كسماء لبنان وجبال كجبالها ولكن وفاة والده سنة ١٩١٠ واغراقه فى الديون قد حمـل الابن على الهجرة ليجمع من المال ما يبرىء به ذمة والده ويقضى دينه ، وقد لقى من العنت ما لاقاه الشاعر اليـاس فرحات وغيره من الذين كابدوا فى المهجـر ؛ فحمـل صندوق الزنك على ظهره يبيع السلع فى لفح الحر وتحت وابل السيل وكانت الامور تنفرج له بعد أن تستحكم حلقاتها ففى أشد ساعات العسر ؛ وقد فرغ جيبه من آخر درهم ، قيض الله له من يريد تعلم الضرب على العود؛ فأعطاه دروسا يفرج بأجرها كربته .

ويمتاز الشاعر القروى بروح وطنيــة عالية ؛ فهو أقوى الاصوات العربية الوطنية فى المهجرين ، ولا تمر

مناسبة وطنية عامة الا ارتفع فيها صوت الشاعر مجلجلا بشعر قوى رصين مملوء بالايمان والحماسة الثائرة المثيرة . وخاصة فى الإحداث الكبرى التى منيت بها الاوطان العربية منذ عهد بعيد. وكان الشاعر القروى يطوف على القرى والاقاليم البرازيلية النائية يجمع التبرعات من العرب فى المهجر لخدمة القضايا العربية . ويأخذ أجور رحلته من ربح الجوارب التى يبيعها على ظهره

والشاعر القروى — هو وزميله الياس فرحات — يمثلان فحولة الشعر العربى فى المهجر . وهو كصاحبه من انصار الرصانة ، وصحة الاسلوب وبلاغة العبارة ، وتمكن القافية ، والحفاظ اللغوى . واذا كان هذا الحفاظ اللغوى هو طابع الادب العربى فى المهجر الجنوبى ، فان ذلك لم يمنع من ظهور حركة مجددة متحررة من كل قيد لغوى أو نحوى أو عروضى ، كما بدو لنا فى شعر الشاعر « نعمة قازان » .

وقد بلغ من ايمان الشاعر القروى باللغة الفصيحة انه وسم كل عادل عنها بسمة الكفر بالعروبة وبالعرب.

والقروى شاعر حساس دقيق الحس . يجد فى الطبيعة أنسا لوحشة نفسه . وله فى ذلك غرائب رواها فى سيرة حياته . وقد يطغى جمال الطبيعة على حسه ووجدانه ، فيرده الى خشوع يلصق جبينه بالتراب ويسكب من عينيه وشفتيه تسبيحة رطبة ، حارة ، فيمتزج فى وجهه البكاء بالثناء على الله صاحب الآلاء.

ولقد تبرعت الجالية العربية فى المهجر بطبع ديوان الشاعر القروى تبرعا سخيا ، فظهر الديوان فى ٩٢٨ صفحة . وكان بذلك اضخم ديوان للشعر العربى المعاصر ، فى العالمين القديم والجديد ..

الولادة الجديدة

اذا الشمس يا أم لاحت هتفت
هتـــاف الغريب راى الموطنـا
وقبلت غرتها بالبنــــــــان
وطوقت بالســاعدين الســنا
كذلك كنت أمــــــد يدى
الى النار طفـلا ! أطفـل انا ؟

***

واذ يـــكفهر الســـماء
وتسكب اجفـــانها الدمع طلا
وتنشر فوق الرءوس المظـــلا
ت لم ارض غير السحابة ظلا
كذا كنت اعشق خوض الجداول
طفلا ! فهل عدت يا أم طفلا ؟

***

مررت بأترابى النـــــاجرين
فلم الق الا العبوس الوقورا !
فملت الى الحقل حيث الصغار
تنـاغى الطيـور وتجنى الزهورا
فهل صـــار كل رفاقى كهولا
وهل انا وحدى ظللت صغيرا ؟

فأسمعنى الطير عند الصباح
جواب الطبيعة لى تنشد :
بنى ! ولدتك طفلا جديدا
فقل للرفاق الالى تعهد :
لقد ملأ الارض أولادكم
وأنتم الى الآن لم تولدوا . . .

اجعل الارض

اجعل الارض حيث كنت جنانا
ان تكن قد هجرت منها جنانا
صغرت نفس حاصر النفس فى أشـ
ـبار أرض يعدها أوطانا
أنت حر فاستوطن البلد الحر
وصاحب من أهله اخوانا
مثلك الكون والزمان فلا تلـ
ـح مكانا ، ولا تذم زمانا
واسم عن أن تشكو الى الناس فقرا
ولئن بت جائعا ظمآنا
ليس فى قضمك الحديد هوان
ان فى بثك الشكاة هوانا
بسمة تظهر الفقير غنيا
دمعة تمسخ الشجاع جبانا
فتلق الحياة بالبشر فالعيـ
ـش نعيم ان لم تكن شيطانا
ليس بدعا ان كنت تطلب ما تقـ
ـصر عنه أن تشتكى الخذلانا
لم يخب طالب رغيفا بسعى
واذا عز حنطة فزوانا

ـنت لفظ يعنى الخلود فكم نعـ
ـنى بفان فى حبه تتفانى ؟
كن اله النضار ! انك عندى
لست شيئا ما لم تكن انسانا
اشبع العقل حكمة واختبارا
واملأ القلب رحمة وحنانا
ولك الارض والسماء وهل يد
عى فقيرا من يملك الاكوانا ؟

الفتنة الكبرى

عرتنى خشية لله لما
رأيت الشمس تأذن بالشروق
فلم أرفع يدى بالحمد حتى
ذكرت بضاعتى وكساد سوقى
ولما قمت منصرفا لشأنى
تذكرت الصلاة على الطريق . .

***

حملت نماذجى . . . القى اتكالى
على المولى ووعد من صديق
فلم ابصر جمال الروض حتى
عرتنى هزة الشعر الرقيق
ولما عدت من نظم القوافى
تذكرت الصديق على الطريق !

***

وانى فى ذهول الشعر يوما
أحوم به على غصن وريق
اذا بحمامة تبكى بكاء
له جمدت دمائى فى عروقى . . .

فلما ذاب فى سمعى صداها
تذكرت القريض على الطريق !

***

سمعت كمنجة فى كف أعمى
تثير كوامن الحس العميــق
فلما كنت منجذبا اليهـــا
وملت الى بالقــد الرشيق
ذهلت عن الصلاة ، وكسب رزقى
وشعرى ، والكمنجة و .. الطريق !

عنـاق الوجود

من لنفس تود لو تغمر الكو
ن هياما بحسنه المعبـود ؟
مثلوا لى هـذا الوجود بشىء
أنا لا أستطيـع ضم الوجود !

***

تطلـع الشمس يستبينى بهاها
وتلوح النجوم ارعى سناها
أى واد ولم أسامر حصـاه
وهضـاب ولم أباكر ذراها ؟
وغصـون ولم اغرد عليهـا
وورود ولم أمص جنـاها ؟
غير انى عمرى قصير وفى الكو
ن فنون من كل حسن جديد
مثلوا لى هـذا الوجود بشىء
اننى اشتهى عنـاق الوجود !

يا سليمى ! جمعت حسن النهار
والدجى ، والسماء ، والاقمار !
والربى ، والوهاد ، والغصن والزهـ
ـر وقطر الندى ، وشدو الكنار !
فيك معنى من كل ما أبدع البا
رى تعالى بل فيك معنى البارى !
لوحة المرصد التى يظفر الرا
صد فيها بكل نجم بعيد
بذراعيك طوقينى اطوق
بذراعى كل هذا الوجود !

يارب

يا رب انك صاحب الامر
وانا اليك موكل أمرى
من لى سواك اذا الهموم طمت
وتلاعبت بسفينة العمر ؟
مرها تطعك ! فطالما سكنت
طوعا لأمرك لجة البحر
اكذا اظل الدهر مرتطما
انجر من صخر الى صخر ؟
خمس مضت ، واليوم سادسة
من غربتى فى اثرها تجرى
لم ألق فى أثنائها سنة
الا وأهون ما بها فقرى . . .
شكرا على ما سرنى ، وعلى
ما ساءنى ! شكرا على شكر !
ما لى جميل أرتجى معه
اجرا ولا عفوا سوى صبرى . . .

الشتاء

لمعة الخاطر الجديد في سماء المخيلة
بالغرام الذى مضى والرجاء الذى قضى
جددى بيننا العهود واتحفينا ببسملة
لمعة الخاطر الجديد فى سماء المخيلة

***

طال يا فتنة العقول زمن الثلج والمطر
فاكسحى هذه الغيوم واطلى على الكروم
وانفخى الروح فى الحقول وابعثى الحسن فى الزهر
طال يا فتنة العقول زمن الثلج والمطر

***

تتشكى لى الورود كلما عدتها ضحى
صل يا شاعر الزهر صل للشمس والقمر !
ذهبت حمرة الخدود ما على الجو لو صحا !
تتشكى لى الورود كلما عدتها ضحى

***

منظر الزهر فى ذبول منظر يبعث الاسى
كيف لا يحزن العروس ؟ كيف ترضى به « فنوس » ؟
هل ترى نابها الافول ام ترى قلبها قسا ؟
منظر الزهر فى ذبول منظر يبعث الاسى

المتكبرون

سل المتكبرين هل استشيروا
بمولدهم ، وهل امنوا الحماما ؟
وهل كشفوا من الاكوان سرا
وهل عرفوا البداءة والختاما ؟

وهل جبلوا جسومهم بخمر
وهل نحتوا من العاج العظاما ؟
وهل يفدون تحت الارض تبرا
ويمسى غيرهم فيها رغاما ؟
أليس قوامهم ماء وطينا
كما خلق الاله لنا قواما ؟
فان كانوا كغيرهم أناما
علام اذن قد احتقروا الاناما ؟
وان لم ينفعوا الدنيا بشيء
اذن فعلام منتهم علاما ؟ !

الفرح

أنا لم أفرح لانى بطل
مثل « دمسى » اصرع القرم العنيد
أو لانى فى الدواهى رجل
لا يبالى ان دنا الخطب الشديد
ما يلاقى
بل لأنى ناصر حق الضعيف
حين فى الحق يعز الناصر
ولأنى حالة الفوز شريف
ادعى أن سواى الظافر
فى السباق
أنا لم أفرح لانى عالم
يتمشى فوق أعناق الدهور
أو لانى ناثر او ناظم
يفتن القراء ارباب الشعور

حسن نظمى

بل لانى لم احرك قلمـــــا
بالذى يكســو مســوح الخجل
ولانى لم اســـــبب المـــا
جارحا بالسب عنـــــد الجدل
قلب خصمى
أنا لم أفرح لحشــدي الذهبـا
واحتيــازى كل ما لذ وطــاب
او لأنى بعــد فى شرخ الصبـا
اتملى من مسرات الشبـــــاب
لا ! لعمرى !
بل لانى وافر العرض نبيــــل
ولانى مخلص حر الضـــــمير
ولأنى عنــد ما يخلو السبيــل
ألبس الليـــل بشيء للفقــير
مع فقرى...

أنشودة الغريب

حتـام احيـــا غريـب ما لى وطـن
يا يوم وصـل الحبيب أنت الـزمن
***
دهـــر بقلـــبى رمى ســهم النوى
يـكويه ربى كمـــا قلبى كوى !
هيهـــات غير الحمى ما لى دوا
لبنـــان نعم الطبيب للمتـــحن
ان كنت منـــه قريب زال الحزن
***
لله ذاك الغـــدير ما اعـــذبا
لله تلك الزهـــور ما أطيـــبا

لله تلك الطيـــــور ما أطـــربا
من كل شاد عجيب ينفى الشجن
فى شـــدوه للملوب ســلوى ومن

***

كم لى بتلك السفوح من موقـف
والشمس طورا تلوح أو تختــفى
فى ظـل روض يفوح بالمضـــحف
أو تحت غصن رطيب حــلو التثن
غنى به العنـــدليب فوق الفنــن

***

اياك يهوى الفــؤاد يا أمنـــا
من دون كل البلاد أنت المنــى
هل يا ترى من معاد يوما لنــا ؟
يا حســن يوم تؤوب فينــا السفن
نشتم قبـــل الغروب ريح الوطن !

حضن الأم

أتذكر كيـــف كان اله موسى
الها قاســيا يلتــذ بالدم ؟
اذن فاليـك كيف غدا حنــونا
علينا . . . ان تألمنــا تألم ، . .

***

روى الراوون أن عشــروا بمصر
على درج غريب الخـط مبهم

فحاول فهمه العلماء لكن
بدا لجماعة العلماء طلسم (١)
الى ان حله الشعراء شعرا
ومن بالشعر كالشعراء يفهم ؟

وذلك أنه من قبل عيسى
توفى شاعر فى الشرق ملهم
أضاع العمر فى طلب المعاصى
يحلل ما كتاب الله حرم
فكاد الى اللظى يلقى جزاء
لما من سيىء الاعمال قدم
ولكن بره الابوين غطى
مساوئه فخلص من جهنم
وجازاه الاله جزاء عبد
تقى حسبما فى الكتب علم
فنام بحضن ابراهيم . . . لكن
قبيل الفجر شاعرنا تبرم

وقام لربه يشكو ويبكى
بكاء صغير الفردوس مأتم
فهدا روعه وحنا عليه
وطيب قلبه بحنانه الجم
ووسده يديه وركبتيه
ومال عليه بالتقبيل والضم
وقال لعبده داود رنم
لهذا البلبل الباكى ، فرنم
فنام بحضنه الابوى حينا
وعاد يساقط العبرات عندم

(١) أصلها : طلسم بشدة وفتحه على اللام ، وقد سكنها الشاعر للضرورة

الى أن ضج أهل الخلد غيظا
وصاح الله من غضب : الى كم ؟
اطيق تذمرا من عبد سوء
يجرع كوثرا فيقول : علقم
تظلم فى الثرى من غير ظلم
وحتى فى النعيم معى تظلم !
ارى الشعراء جازوا الحد ! انى
اكاد لخلقى الشعراء أندم
علام بكاك يا هذا ؟ وماذا
دهاك فلا تنى تُشكو ؟ تكلم ؟
اصفحى عنك قد ابكاك أم ما
جزيت به من الاحسان أم ... ام ؟
فصاح العفو يا مولاى ! من لى
سواك ومن سوى الرحمن يرحم ؟
اتيتك راجيا نقلى لحضن
احب الى من نفسى واكرم !
لحضن طالما قد نمت فيه
قرير العين بين الضم والشم !
أما ألقيت رأسك فوق صدر
حنون خافق بمحبة الأم ؟
فدعنى من نعيم الخلد انى
نعيمى بين ذاك الصدر والفم
تربتنى كعادتها برفق
وتنشد نم حبيبى بالهنا نم !

***

فأطرق سيد الاكوان طرا
لشكوى شاعر الغبراء ، واهتم

وقال لنفسه هـــــذا محال
ايعلم شـــاعر ما لست أعلم ؟
اينعم خاطيء فى الارض قبـلى
بما انا لست فى الفردوس انعم
لأكتشفن هـــــذا السر يوما
ولو كلفت ان اشـــــقى واعدم

***

وكانت ليلة . . . واذا صبى
صـغير نائم فى حضن مريم . . !

عيد البرية (*)

عيد البرية عيد المولد النبوى
فى المشرقين له والمغربين دوى
عيـد النبى ابن عبـد الله من طلعت
شمس الهداية من قرآنه العلوى
بدا من القفر نورا للورى وهدى
يا للتمدن عم الكون من بدوى !
يا صاحب السيف لم تفلل مضاربه
اليوم يقطر ذلا سيفك الدموى
يا فاتح الارض ميـدانا لقوته
صارت بلادك ميدانا لـكل قوى
يا حبذا عهـد بغداد واندلس
عهد بروحى أفدى عوده وذوى !

(*) يستحث الشاعر المسيحى هنا عزائم المسلمين فى ذكرى المولد النبوى لأستعادة المجد القديم

من كان فى ريبة من ضخم دولته
فليتل ما فى تواريخ الشعوب روى
يا قوم هذا مسيحى يذكركم
لا ينهض الشرق الا حبنا الاخوى
فان ذكرتم رسول الله تكرمة
فبلغوه سلام الشاعر القروى !

ليبيا (١)

ليبيا يا معقل الغرب الجديدا
زدت اعياد شقيقاتك عيدا
مرحبا بالثورة البيضاء لا
جردت سيفا ، ولا حزت وريدا
من شباب همه أمته
كاد ينسى نفسه حبا وجودا
هب للسلم وللحرب معا
بطلا ينجز وعدا ووعيدا
غلب القوة بالرفق ، ولو
اغضبوه كان جبارا عنيدا
ينقل الخطوة فى نور الهدى
جاعلا رائده العقل الرشيدا

---

(١) نظمت عقب ثورة الفاتح من سبتمبر

أبنــاء المعــلوف:
فوزى - شفيق - رياض

لقد اجتمع الشعر فى هؤلاء الاخوة المتربين فى المهجر الجنوبى ، وانحدر اليهم ذلك الميراث الادبى الرفيع عن والدهم المؤرخ الادبى الكبير الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف ، العضو بالمجمع العلمى العربى بدمشق . وليست أسرة المعلوف هى التى انفردت من أسر المهجر بانجاب اشقاء شعراء ، فهناك اسرة الخورى من قرية « البربارة » اللبنانية التى أنجبت الشاعرين الشقيقين رشيد سليم الخورى « الشاعر القروى » ، وقيصر الخورى « الشاعر المدنى » وهما من أعضاء العصبة الاندلسية بالبرازيل التى يرأسها الشاعر شفيق المعلوف . وهناك اسرة قنصل من قرية « يبرود » السورية ، وقد انجبت الشاعرين الشقيقين الياس قنصل ، وزكى قنصل .

ولقد اشتهر المرحوم فوزى المعلوف بقصيدته الرائعة « على بساط الريح » التى نشرت فى مجلة « المقتطف » سنة ١٩٢٩ ، ثم طبعت طبعة أنيقة فى البرازيل ، ولقيت من تقدير القراء فى العالم العربى ما لفت الانظار الى ناظمها الشاب الذى اختطفه الموت وقد اوفت سنه على الحادية والثلاثين ، فمر فى الدنيا كما يمر الطيف ، أو كحلم فى الكرى ، أو كخلسة المختلس، كما يقول الشاعر الاندلسى

ولد فوزى فى زحلة سنة ١٨٩٩ فى أعقاب الربيع الباسم ، ولكنه كان كما يقول عن نفسه منقبض النفس مقطب الجبين ، ولشد ما تمنى أن يموت فى خريف صامت ذاو كما قضى حياته القصيرة فى خريف صامت ذاو .. ووجد الفتى فى كنف ابيه العلامة المؤرخ وفى خزانة كتبه ما اشبع ميوله الادبية البادية ، فنظم شعرا فى شبابه المبكر ، وألف بعض الروايات التمثيلية.

وفى سنة ١٩١٨ عين الشاعر كاتما لاسرار المعهد الطبى العربى بدمشق ، قريبا من رعاية أبيه فى عاصمة الامويين . وما كادت تضع الحرب العالمية الاولى أوزارها حتى بدأ الشاعر الشاب رحلته الى العالم الجديد سنة ١٩٢١ مشتركا مع أشقائه وبعض قرابته فى انشاء مصنع للحرير بمدينة سان باولو بالبرازيل .

ولكن نسج الحرير لم يشغله عن نسج ابراد العرائس من الشعر الرقيق ، واجتمع له الثراء هو واخوته ، فلم يزدهم الا استمساكا بعروة الادب الرفيع . وفى اخريات سنة ١٩٢٩ أصيب الشاعر بمرض أعيا الاطباء ، ولم تنفع فيه حيلة الطب الذى عجزت محالته عن الاصدار فتوفى فى يناير سنة ١٩٣٠ . وكان لمنعاه رنة اسف فى العالم كله ، فنعته شركة هافاس البرقية العالمية شاعرا ، قبل أن تنعاه شابا من كبار رجال الصناعة فى البرازيل .

ولقد احبه الذين قرأوا شعره ، لانه يفيض بنزعة انسانية كريمة ، وينزع الى السمو بالانسان الى أسمى مراتب الكمال ، أما الذين رأوه فقد زادهم حبا الى نفوسهم صفاء ذهنه ، وكرم خلقه ، وعلو همته ، ولطف عشرته على الرغم من اتساع ثروته . وممن تأثر بلقائه الدكتور فيليب حتى ، أستاذ التاريخ الشرقى

بجامعة برنستون بالولايات المتحدة ، فلقد كتب ـ فى مجلة «الكلية» ببيروت واصفا رحلته الى البرازيل ـ كلمة يقول فيها : « قل بين الشبان الذين تعرفت بهم فى السنين الاخيرة ـ ولقد اجتمعت بالعدد الوافر منهم فى القارات الخمس ـ من اثر فى نفسى اثرا مستحبا اشد من الاثر الذى تركه فى فوزى المعلوف » .

وتمثل لنا نظرة فوزى المعلوف المتشائمة فى الحياة صدق القول بأن المال لا يخلق سعادة ، ولا يصنع غبطة ... فقد اجتمع له الثراء والشباب ، واوفيا له الكيل ، ولكنهما لم يستطيعا أن يخلقا وتر السعادة فى عوده الحزين ... فظل حتى حين حلق الى ابعد آفاق السماء فى ملحمته « على بساط الريح » يشكو ويتألم من الحياة على الارض ، كانه كان ينوى الرحلة الى ما وراء الحياة وهو لما يزل بعد فى نضارة الشباب. ومن هنا وجد الشاعر الدكتور احمد زكي ابو شادى سبيلا الى نقده ونقد فلسفته التشاؤمية فى الحياة ، حين كتب عن ملحمته « شاعر فى طيارة » أو « على بساط الريح» نقدا فى عدد « المقتطف » الذى نشرت فيه تلك الرائعة الادبية سنة ١٩٢٩

ولقد بلغ من روعة «على بساط الريح» انها ترجمت الى كثير من اللغات الحية ، فترجمها المستشرق جورج كفت الى الانجليزية ، والمستشرق كمبفماير الى الالمانية ، والمستشرق كرتشكوفسكي الى الروسية ، والسيدان أسعد محفل وفائز عون الى الفرنسية ، والسيد اميل مرقدة الى الرومانية ، وفنتور لوسبرينو ـ امير شعراء البرتغال ـ الى البرتغالية ، وفرنسيسكو فيلاسباسا ـ امير الشعر الاسبانى ـ الى الاسبانية . وتمتاز هذه الترجمة الاخيرة بتلك الدراسة التحليلية التى كتبها المترجم عن الشاعر وشعره .

وفى سنة ١٩٣٧ ازيح الستار فى حديقة عامة بمدينة زحلة عن تمثال نصفى من البرونز نحته مهاجرو العرب فى البرازيل ، وقدموه تذكارا للشاعر الذى انبتته المدينة اللبنانية الحالمة ، ليعود اليها اريجا عاطرا فى سماء الخلود .

***

أما شفيق المعلوف فهو صاحب ملحمة « عبقر » ، وهى قصيدة اسطورية جمع الشاعر مادتها من أساطير القدامى ، وطاف فيها بعوالم غير عالمنا ، وابعد فى اودية « عبقر » كما أبعد المعرى فى « رسالة الغفران » ودانتي فى « الكوميديا الالهية » . وقد كانت هذه الملحمة فى طبعتها الاولى بالبرازيل سنة ١٩٣٦ فى ستة اناشيد ، فأضاف اليها الشاعر ستة أخرى فى طبعة سنة ١٩٤٩ وصنع لها – هو لا ابوه كما ذكر بعضهم وهما – مقدمة تاريخية فى أساطير العرب وما شابهها من خرافات الاقدمين .

ولد شفيق فى زحلة سنة ١٩٠٥ وشدا من العلم فى كليتها الشرقية ، وفى سنة ١٩٢٢ جذبته اكناف والده فى دمشق ، فعمل محررا فى احدى صحفها المشهورة « ألف باء » ، ولم يطل مقامه بعاصمة الامويين اكثر من ثلاث سنوات حتى غادرها سنة ١٩٢٦ مهاجرا الى البرازيل ، حيث كان هناك شقيقه المرحوم فوزى وكثير من افراد اسرته . فانعقدت له فى عالم الصناعة شهرة لا تقل عنها شهرته الادبية المطبقة ، ويعينه فى الميدان الصناعى والتجارى شقيق رابع اسمه اسكندر .

ويعيش شفيق فى سان باولو فى قصر مشيد ، لم تصنعه أحلام « عبقر » ولا خيالاتها ! ولكنه قصر منيف من

الواقع ، تتسع رحابه الكريمة لاعضاء « العصبة الاندلسية » ، وللوفود العربية التى تفد من أوطان العروبة الى البرازيل من حين الى حين .

وقد القت العصبة الاندلسية فى البرازيل مقادتها الى الشاعر شفيق معلوف ، فالتقت فى همته وشاعريته ومركزه الاجتماعى المرموق روافد النشاط الادبى والمادى فى ذلك المهجر الجنوبى البعيد ...

ونظرة « شفيق » الى الانسان ولؤمه وخبث طبعه لا تقل عن نظرة اخيه المرحوم فوزى ، كأنهما استقيا فلسفتهما من معين واحد فالانسان عند المرحوم فوزى :

جاء والطهر والرواء رفيقا
ه وثوب العفاف كل ثيابه
وتولى يقوده الاثم والدا
ء الى القبر فى غضون شبابه
هو يحيا للشر ، فالشر يحيا
ابدا حيث حل شؤم ركابه

والانسان عند صاحبنا شفيق ــ أطال الله عمره ــ قد أفزع العرافة فى وادى عبقر ، فقالت تخاطبه :

ويحك يا انسان ! الق عصا سحرك
ذعرت فينا الجان فعذن بالشيطان
من شرك . . .

وقد افهم هذه النزعة التوجسية من الانسان عند شاعر انعزالى ينطوى على نفسه فيأنس بالذئب اذا عوى ، ويكاد يطير من صوت الانسان ... أما عند شاعر كشفيق آتاه الله بسطة فى الشباب والمال والاعمال ، فلا افهم لها سببا الا أن تكون « وقاية من العين » كما يحتاج الجمال الى عيب يوقيه من العيون ، ويعيذه من شر الحاسدين !

ولشفيق معلوف غير ملحمته الشعرية « عبقر » ، ديوانا « لكل زهرة عبير » ، و « نداء المجاديف » وقد طبعا فى بيروت سنة ١٩٥١ وسنة ١٩٥٢ على الولاء ، وقد اخترنا القصائد الجديدة من هذين الديوانين . أما كتابه « حبات زمرد » الذى طبعته وزارة الثقافة والارشاد بدمشق سنة ١٩٦٦ فهو مجموعة مقالات فى الادب والنقد تدل على اطلاع واسع فى الادب العربى والآداب الشرقية .

وبقى من ابناء معلوف « رياض » ... وهو شاب ترتسم على ملامح وجهه النضر ابتسامة حلوة ، ولكن شعره مملوء بالبكاء والنواح ، وبسمات الموت ، ورمز الشقاء ، والدموع ، والوتر المقطوع ... وغير ذلك من عناوين اناشيده الحزينة الباكية فى ديوانه « الاوتار المتقطعة » . ولقد أسرف هذا الشاعر الناشىء الشاب فى سكب الدموع ، حتى لم يبق فى عينيه الدامعتين فضلة من العبرات لفده المأمول الممدود ...

ان فى قيثارة « رياض معلوف » رقة وحلاوة فى النغمات ، وخاصة فى مثل هذه الابيات :

هذه الدنيا لنا لحبيبى ، لى انا
فتمتع يا حبيبى فالمنى تلو المنى
أى شىء نبتغيه لم تنله يدنا ؟
طالما انت بقربى كل شىء ههنا !

فحرام ان تتحول هذه الطاقة المذخورة من الرقة والحنان ، الى اناشيد الالم ونغمات الاسى والاحزان .

ولد رياض سنة ١٩١٢ ، وهاجر الى البرازيل سنة ١٩٤٠ ، ولكنه لم يطل المقام فيها غير بضع سنوات . ولم ينتج فى مهاجره البرازيلى الا ديوانه «خيالات» . ويعيش الآن فى زحلة فيطالعنا فى صحافة لبنان والشام الادبية بانتاج مشرق طريف .

ملحمة « على بساط الريح »
لفوزي المعلوف

ملك فى الهواء

فى عباب الفضاء ، فوق غيومه
فوق نسره . . . . ونجمته
حيث بث الهوا بثغر نسيمه
كل عطر . . . . ورقته

***

حلق الشاعر العصامى منذ الـ
ـبدء لكن بروحه لا بجسمه
ضاربا فى الفضاء مع ربة الشعـ
ـر ومن حوله عرائس حلمه
ملك قبة السحاب له قصـ
ـر ، وكل الأثير مسرح حكمه
ذو وشاح من الدجى فاح كافو
ر دراريه فوق عنبر فحمه
هالة البدر كللته بتاج
صيغ من نثر فضة حسن نظمه
والسواقى عرش له نفض الليـ
ـل على جانبيه رهبة رسمه

والثريا فى كفه صــــــولجان
ذهب الصـــبح ضم لؤلؤ نجمه
شـاعر طـائر بغير جنـاحيـ
ـن بأمر الخيال يقضى وباســمه
ملـكه ركنــه الهواء ، ولـكن
اله الخلود قام بدعمــــــه !
هجر الارض طالبـا راحة الرو
ح بعيـدا عن الوجود وظلمـه
صد عنه طوعا بملء رضـــاه
بعـــد ان جاءه مقودا برغمـه
هو منه ، وليس منه ، فما زا
ل غريبـا ما بين ابنـــاء أمه

نفوس الشعراء

يا نفوســا فى بردة الشـــعراء
رفعتهم . . . . . على الهواء
أبعـــدتهم عن عالم الاحيـــاء
قربتهم . . . . من السماء

***

لست من عالم التراب وان كنـ
ـت تجســـدت بالتراب عليه
أنت من عالم بعيــــد عن الار
ض يفيض الجمال عن جانبيه
عالم انت فوقه نســـمات
حملت نفحة الشـــعور اليه
هو ما زال طاهرا ونقيــــا
لم يدنس اثم الورى بردتيــه

وفنى الشعر فيه يستنزل الوحـ
ـي بيـانا يجثو الخلود لديه
مبقيـا طى مصـحف الافق آثا
راً توشى بحسنها صفحتيـه
ما شـعاع الاصيـل غير لهيب
شـع من قلبـه على مقلتيـه
وقتـام الغمـام غير دخان
صـعدته الهموم من شـفتيه
ما أنين الرياح غـير زفـير
سرقتـه الرياح من رئتيـه
ونواح الطيـور غير أناشيـ
ـد روتها الطيـور عن أصـغريه
ما بريق النجوم غير شـظايا
كاس حب تحطمـت فى يديه
وندى الفـجر غير در دموع
شربتهـا الازهار من محجريه

حلم يتحقق

يا طيور السماء فى الريح روحى
بى جريا . . . . . . على الجلد
وبجسمى طيرى الى حيث روحى
ثم تحيـا . . . . . بلا جسـد !

***

هو حلم ما زال فى فـكرة الشا
عر يطوى الزمان جيـلا فجيلا
حققتـه الايام فانظر تجدنى
قاطعا فى الاثير ميـلا فميـلا

ما جناحا خرافة حملاني
بل جناحا حقيقة من هيولى !
فوق طيارة على صهوات الر
يح قامت تذلل المستحيلا
هى طير من الجماد كأن الـ
ـجن فى صدرها تحث خيولا
فتظن الازيز فيها عزيفا
وتخال الدوى فيها صهيلا
حين هبت ونبا الى الجو تختا
ل وتعلو فيه قليلا قليلا

ثم مدت الى النجوم جناحيـ
ـن وجرت على السحاب ذيولا
دفعت موجة الرياح بكفيـ
ـها فشقت الى السماء سبيلا
خببا تارة ، وطورا وئيدا
صعدا مرة واخرى نزولا
درجت فى ممالك الطير تلقى الذ
عر من حولها وتؤتى الفضولا
فترى فى الطيور كرا وفرا
وترى فى النجوم قالا وقيلا

بين الطيور

قال نسر لآخر « اى طير
هو هذا . . . . . ومن رفاقه ؟
ان يكن قادما الينا لخير
فلماذا . . . . . علا زعاقه ؟

يا له طائرا بصـــورة شيطا
ن تبث اللظى مراجل صدره !
يتخطى حـــدودنا دون اذن
فـكأنا وملكنا طـــوع أمره
انني خـــائف فلم تر عينى
طائرا قط فى ضخامه قطره ! »
فأجاب الثانى « اعيذك منه
فانا عارف دخيـــــلة سره
نحن لم نهجر البســـيطة الا
هربا منه واتقـــاء لشره !
ليس طــيرا ، لـكنه آدمى
جاء يســـتعمر الاثير بأسره
ربما ضـاق عن مطامعه الـكو
ن فحطت هنـا مطـامح فـكره
قم بنـا نجمع الطيـور ونمشى
للقاه ، فنتقى بعض غـدره »
واذا بالطيـــور حولى وكل
صـامد لى بمخلبيـه وظفـره !
لا تخافى يا طـير ما انا الا
شاعر تطرب الطيـور لشـعره !
جاء يقضى بعض الدقائق فى مفـ
ـناك ضيفا على الهدوء وسحره
هاربا مثلمـا هربت من الانـ
ـسان والارض ، من شقاها ومكره !

رمز الالم

انظريه يمشى وفى خطـــواته
نزوات . . . . . من الالم

عاثر الجد ، جد تحدو بذاته
نزعات . . . . الى العدم

***

هو فى ميعة الشباب ولكن
ضم فى بردتيه شيخا هزيلا
شارد الطرف ، تائه الفكر يحكى
مدلجا فى الظلام ضل السبيلا
ذو جبين القت عليه شجون النـ
ـفس ظلا من العبوس ظليلا
وقوام كأن قاصمة الظهـ
ـر اناخت عليه حملا ثقيلا
كتب البؤس فى غضون محيا
ه سطورا مقروءة وفصولا
فهو لا يعرف التبسم الا
عند ما يستعيد حلما جميلا
الف اليأس قلبه فهو واليأ
س يحاكى بثينة وجميلا
واذا اليأس صد عنه قليلا
قام يبكى على نواه طويلا !
واذا ما النسيم مر عليه
فعليل أتى يؤاسى عليلا
تاه فى عالم الخيال فضاعت
روحه وهى تطلب المستحيلا
حول الارض عالما علويا
مخرجا من وحولها سلسبيلا
واعاد الاثير طوع يديه
ناظما من نجومه اكليلا !

باقة من اشعار شفيق المعلوف

الراعى

مشى وفى كفه هراوته
وهو وراء القطيع مكتئب
ونايه من خلال جعبته
يمد عنقا كمن له أرب
متسرد الفكر لا يثوب اذا
ينبح كلب او نعجة تثب
وطالما فى المروج نعجته
طاب على كفه لها العشب

***

بالامس قالوا له حبيبته
زفت اليها الحلى والذهب
فلم ينم ليله ولا انطبقت
حتى على طيفها اه هدب
اني مشى فى الحقول لاح له
جفن ووشم ومبسم عذب
فاقتعد الصخر ثائرا قلقا
وراح يهذى ودمعه صبب
يقول : اين التى بها ظفروا
ألم يصبها من لوعتى شجب

اين التى اترعت فمى قبلا
وهى على ساعدى نضطرب
قبلتها البكر من فمى سرقت
وقلبها من يدى مغتصب
فهل تراها بعد الذى وهبت
ابقت لغيرى فى الحب ما تهب ؟

***

مال على نايه ومقلته
يشب من خلف مائها لهب
حتى اذا بث ما يجيش به
غص بما فى ضلوعه القصب
كأنما الجرح جرح مهجته
كان على نايه له ثقب
فالناى لا يأتلى على فمه
يعب من قلبه وينتحب ..

ساعى البريد

ساعى البريد وما ينفك منطلقا
وكل باب عليه غير موصود
يسعى بأكداس اوراق مغلفة
تفوح منهن اطياب المواعيد
خلف النوافذ اجفان مشوقة
اليه تخفق من وجد وتسهيد
بدا فهز عقود الغيد مقدمه
هز النسيم لحبات العناقيد
كم قبلة من فم العشاق يحملها
على يديه ويهديها الى الغيد ؟

يا ساعيا بابتسامات توزعها
على الشفاه بلا من وترديد
كم وجه أم عجوز ان برزت له
لم تبق من اثر فيه لتجعيد
تلقي اليها كتابا ان يصب يدها
تشده باليد بين النحر والجيد
كأن كل غلاف منك ملتحف
لابن الى صدر تلك الام مردود

***

وكم وكم رقعة كالحظ مترفة
وهبتها كل كابي الحظ منكود
يا واهبا كل بشرى حين جدت بها
راحت تكذب عنك الفقر بالجود
ابعد بذلك فينا ما بذلت نرى
عينيك في مأتم والناس في عيد ؟
او تعلم الناس يوما انها سلخت
أيامها البيض من ليلاتك السود !

زهرة في صخرة

حلمت بزهرتها القديمة صخرة
حنت الى عهد التراب الفائت
فتفتقت آمالها عن زهرة
بيضاء لم تك غير حلم نابت
ينشق عنها الصخر وهي كأنها
حي تململ في ذراعي مائت
ساءلتها فاستجمعت اطيابها
ومضت تقول بهمسهن الخافت

انا لست الا ومضة الذكرى على
تقطيبة الصحر الكئيب الصامت
فبح يخالطه وميض حلابه
أحلى لعينى من جمال باهت !

الاياب

اى صوت ادعى غداة التنادى
من نداء الاكباد للأكباد ؟
صدقت ذمة الزمان فعدنا
ننفض الجمر من خلال الرماد
هاك ملهى الصبا فيا قلب لملم
ذكرياتى على ضفاف الوادى
صفقت بالجناح مستطلعات
طلع أوكارها الطيور الشوادى
علها تستشف من خلل الاظـ
ـلال اظلال غابر الاعياد
يوم اغشى الرياض فى الليلة القمـ
ـراء ونبا بين الربى والوهاد
شاردا أنشد النجوم وفى جفـ
ـنى مائى وبين جنبى زادى

***

بالتى تقطف النجوم يداها
ثم ترمى بهن تحت وسادى
بفتاة كأن أجنحة الشحـ
ـرور كحلن عينها بالسواد
نقلى يا يد النسيم على أهـ
ـدابها السود ريشة العواد

ان اهـــدابها بقيـــــات أوتا
رى شـــدت الى بقـــايا فؤادى

***

نشـــط الشـــوق للأيب ونادى
باسم لبنان فى الضلوع منادى
كيف لبنـــــان والمعنوه كثر
لم تصـــفق صـناجتـاه لشـادى
رب داء يحز لبنـان فى الصلـ
ـب ولبنــــان مبرأ الرواد
امن العـــائدين انت اليه ،
عمرك الله ، أم من العواد ؟
قرب الشـــط فليقلك بين الـ
ـموج والشـوق هودج متهادى
هـــذه فى الفضـــاء اعلام لبنا
ن على غره الصـــباح بوادى
يغمر الفجر منكبيهـــا فتنكب
عليه مشبوحة الاعضـــــاد
قمم صـدعت على الافق بحرا
هائج اللج صـــاخب الازباد
تشرئب الجبـــال منه فهــلا
ولد البحر من جـديد بلادى
موطنى ما رشـفت وردك الا
عاد عنه فمي بحرقة صـادى
فى قلوب المغربين جـــراح
حمـــلوها على الجباه الجعاد

***

لا تلمهم ! فيوم هجرك كانوا
وعذارى العلا على ميعـــاد

يوم دقوا سواحل الشرق بالغر
ب ولم يهدهم سوى العزم هادى
كلما احتلت المجاذيف شسع الا
فق منـــــهم بكوكب وقاد
وزعتهم كف الرياح فهــــلا
جمعتهم يد النســيم الهادى ؟
غصص الامهـــات ما هى الا
ذمم فى خفـــــارة الاولاد !
حان ان يخنقوا الشراع ويطووا
علم الفتــح بعــد طول الجهـاد
ذهب الارض ـ يعلم الله ـ ما يعـ
ـدله غير تربة الاجـــــداد

***

يا لطود أعنـــاقه آخـــذات
بجبال شـــــم من الامجاد
هو لبنـــان هب بنيه ســيوفا
تلفظ الروح وهى فى الاغمـاد
هبه مستضعف الجناب فلم يفـ
ـخر بماض ولا ازدهى بتلاد
أو فهبه كما تشـــاء فحسبى
ان لبنـــان خفقــة فى فؤادى

غمامة هيروشيما

سلبوا الشمس قطعة من لظاها
ورموها على العبـــاد تدور
فجروها ملء الفضـــاء ذريرا
ت تشظى شرارها المســتطير

اغيوث ســـوداء تنهل ام نا
ر تبيـد الجسوم ام زمهرير ؟
يا لها من غمامة ساقها الحقـ
ـد فجاشت بما تكن الصدور !
اين منهـا على قبـائل عاد
عاصـــف فيه يومهن الاخير ؟
اين صادوم ؟ اين اعمـدة المـلـ
ـح اذا ما تلفت المـذعور ؟
غضب الله صار فى حوزة العبـ
ـد فاين الله القوى القـدير ؟

رياض المعلوف : باقة من اشعاره

هل ياترى نعود ؟

هل يا ترى نعود اليك يا لبنان
فتصدق الوعود ويسمح الزمان
فنقطف العنقود منوع الالوان
هل يا ترى نعود
اليك يا لبنان
ما احسن السهر فى خلوة الكروم
وبيننا القمر وقربنا النجوم
فهذه الصور نمر كالفيوم
هل يا ترى نعود
اليك يا لبنان
زقزقة العصفور ورعشة الاغصان
حتى ارى الصخور ندية الالوان
وعتمة الديجور نشتفها العينان
هل يا ترى نعود
اليك يا لبنان
كم سحت فى المعمور ما غرنى منظر
فبلدى المهجور وكوخى الاخضر
احلى من القصور والذهب الاصفر
هل يا ترى نعود
اليك يا لبنان

ما احســن الذكر في مقــلة الغريب
فهــو اذا ذكر موطنــه الحبيب
يرتعش النظــر وعينــه تغيب
هــل يا ترى نعـود
اليـك يا لبنــان

الله والشاعر

في كل آونة بعيني اشــهد
عظمــات ملـكك كلها وأعدد
وكفي بقولي الله حتى تنتشي
نفسي وتشخص مقلتاي فأسجد
يا صـاحب الملك الذي لا ينتهي
ابدا وسـدته الملا والسـرمد
بيني وبينــك الفة ومودة
ابدا تزيد ، ودائما تتجدد . . .
رحماك ! رغم تبـاعد بمقامنا
اني احبك هل ترى انا ملحد ؟
اتعد هاتيــك النجوم ونورها
ام خلقنا ، ام فضلك المتعدد ؟
يتخاصمون عليك في صـلواتهم
وا خجلتاه ! وانت انت الاوحد
فخذ الصلاة من الورود على الشذى
ومن الطيور على المناقر تنشـد
نورت أعيننــا بأنوار الهـدى
فاذا بهن مشـاعل تتـوقد
فبكل عين للورى لك شـمعة
منذورة ، وبكل صـدر معبـد !

فلما خلقت الموت يا بارى الورى ؟
ولما نموت ولا نعيش ونخلد ؟
الهمتنا الشيء الكثير ... ولم يزل
هذا الغشاء ، ترى متى يتبدد ؟
ان كان يفنينا الممات فمعشر الشـ
ـعراء من كل البرية أخلد
فى فقرهم كل الغنى وثرائه
ان الغنى لماله مستعبد
لوحات « رافاييل » لا مال يوا
زيها ، ولا أقدارهن تحدد
كم قطعة تغنى النفوس ثقافة
وقصيدة بكلامها يستشهد
فالشعر فى انجيلنا وكتابنا
والشاعران هما المسيح ، واحمد !

الى موسيقى

حضنتها قيثارة كأن فيها اضلعك
أودعت فيها كل ما فى الروح ربى أودعك
داعبتها مستلهما فأسمعتنا بدعك ...
وارتعشت أوتارها مقبلات أصبعك
الحانها درب المنى قلبى مشى فيه معك
من وتر لوتر ضيعنى وضيعك ...

الهزار المنتحر

كنت طلق الجناح غير مقيد
يا هزارى تختال بين الغصون

اسرتك الاقفاص كم تتنهد
فى جوارق بحرقة وشجون
اين تلك الاغصان من قضبانك
والجداول وقهقهات الازاهر
أين تلك الآيات من الحانك
فى الخمائل وحسن صوتك ساحر

***

كنت فى الدوح آمنا بصداحك
متضاحك من الورى متشائم
غير اللحن بعد قص جناحك
بنواحك فصرت بالهم واجم
بجناح جربت فك سراحك
فتكسر بكرة وبفرة
خضب الريش من دماء جراحك
وتحير فبت للناس عبرة

***

مت اسرا فكفنتك ورودك
والزنابق بموكب تتهادى
ورثتك الاطيار وهى جنودك
والشقائق مقطبات حدادا
انما الذنب للجمال بصوتك
فى اسارك يا فتنة للنواظر
سبب الحسن شتمه عند موتك
وانتحارك فمت ميتة شاعر !

جـــورج صيـــدح

١٨٩٣

نحن هنا امام شاعر مهجرى جديد .. ! ولـكنه قديم لانه هاجر الى العالم الجديد سنة ١٩٢٧ .

فالشاعر الصداح جورج صيدح قد قارب الآن فى دوحة الهجرة الامريكية ما يدنو من ثلاثين عاما ، ولـكنه عاد الى وطنـه كما عودنا المهـاجرون أن يعودوا الى أوطانهم بعد كفاح السنين

ولـكن هل سكت الشاعر صيدح لحظة واحدة فى المغترب عن الغناء والحنين الى الاوطان ؟ اليس هو وترا من ذلك العود الرقيق الحنون الذى تثيره الذكريات الى ارض الوطن فيهفو اليها فى شعر رقيق جميل ؟.. لقد مرت فرقة طرب لبنانية على الارجنتين سنة ١٩٤٨ لتحمل الى المغتربين المتوطنين فى العالم الجديد بعض الالحان العربية الاولى التى سمعوها فى مهاد الطفولة قبل هجرتهم ، فلم يشأ جورج صيدح أن تمر هـذه المناسبة من غير قصـيدة كلها حنين الى ارض الوطن العزيز ، يقول فيها

حمائم لبنـــــان هل تذكرين
رفاقك بعـد اغتراب الرفاق ؟

لكم سجعوا مثلما تسجعين
خلال الفصون ، حيال السواق
سألناك يا مرسلات الحنين
أكان الحنين نذير الفراق ؟
غدونا عشيرا يناجي عشير
ونحن بواد ، وانت بواد !
زجلنا الاغاني اليك تطير
وان الاغاني طيور الفؤاد !

ولا يقف صيدح عند الحنين واللهفة الى مسارح الوطن ومرابعه ومصطافه ، ولكنه يتساءل فى نغم يشبه الحسرة والتشوق اللاهف عن صدى صوته واصوات اخوانه المهاجرين فى سفوح لبنان وهو حين يستمع فى طرب الى أصوات اللبنانيين القادمين لايفوته ان يسأل عن مصير أصوات المغتربين ومبلغ تأثيرها ونفوذها الى أسماع المقيمين فى أحضان الوطن تحت السفوح او فوق القمم أو فى جنبات الوطن الكريم

حمائم لبنان هل من صدى
لاصواتنا فى سفوح الجبل ؟
صداك يجوب الينا المدى
رسول المقيم الى من رحل
هنا سربك النازح المفتدى
يحيى الرسول بدمع المقل !

والشاعر جورج صيدح يمثل المغترب الحنون أصدق تمثيل ، فهو على طول اقامته بدار الغربة واحتمال الاندماج بها والتأقلم فيها لا يزال يحن الى مغانيه الاولى ومدارج طفولته ، ويشبه المغترب بالوردة التى نثرتها الرياح وبعثرتها الاقدار والقت بها فى مستنقع الغربة الكئيب :

يا وردتى طرت كذات الجناح
ولم تعودى فى معاد الطيـــور
رباه ! سلطت عليهـــــا الرياح
فحومت فوق الربى والشـــفور
وانطرحت كالعندليب الصـــدى
فى صــفحة المستنقع الاربد ...

ولم يكن صيـــدح مختارا فى الهجره كما كان أكثر المغتربين اللبنانيين والسوريين . وهو يصرح لنــــا « بالشدة » التى الجأته الى الهجرة حين يقول

وطنى ! ما زلت ادعوك أبى
وجراح اليتم فى قلب الولد !
ما رضيت البين ... لولا شدة
وجدتنى ساعة البين اشـــد
فتجشمت العنـــــا نحو المنى
وتقاضـــانى عمرا نفـــد

ولـــكن يظهر أن « الشـــدة » التى هاجر من اجلها استحالت الى رخاء ، وان الصعب المستسهل فى سبيل العلا والمنى قد آتى ثماره ، وانه عاد الى الوطن وفى وطابه كثير من الزاد الذى جمعه الجد والجهد والتعب فى سبيل الحياة ! ولـــكن هل يوازى المال الذى جمعوه ، ذلك الشيء الثمين الغالى الذى اضاعوه ؟ انه واحد من أولئك النـــازحين المغتربين الذين عادوا على كبرة من السن وفى ايديهم ندوب الجراح ، وعلى جبـــاههم آثار الـــكفاح ...

رجعــــوا كالجند من معركة
باد فيها جيشهم ، الا بقـــايا
تركوا الجرحى الاســـارى خلفهم
والضحايا ... رحم الله الضحايا

ما سمات النصر فى جبهتهم
غير آثار حراب وشظايا
كل ما نالوه من غاراتهم
لا يوازى ما أضاعوا من مزايا ...
رب كهل عاد منهوك القوى
كان قبل البين طلاع الثنايا ...

ولكن لا تأس أيها البلبل الصداح ! فقد كنت حتما سائرا الى الكهولة المضناه سواء قضيتها فى الوطن ام فى المغترب !

واذا كانت قيثارة جورج صيدح تجيد العزف على الحنين والتلهف الى الوطن فانه قد غزا ميادين أخرى من أبواب الشعر الفنانى فى الوصف والحب والفكرة والوطنية وفكرة العروبة التى تلون شعر هذا الشاعر بلون زاه جميل ...

ففى خلال النكبة التى منيت بها فلسطين والعروبة وفى احرج ساعاتها سنة ١٩٤٨ يرتفع صوت «صيدح» فى بونس ايريس قائلا

وطنى ! مطلع انوار الهدى
بلدى ! ما انت للذل بلد
أو تغدو وتدا للمعتدى
أين شان العرب من شان الوتد ؟
لا تطل عمرى الى يوم به
تحكم الجرذان فى غاب الاسد ...

وبعد النكبة بسنة نراه فى قصيدة «هواجس سائح» متجهما والناس يبتسمون :

الحسن يضحك فى الربى وانا
متجهم ، وسواى يبتسم

جزعى على الاوطان يصحبنى
هل فى فلسطين انطوى العلم ؟

وليست « العروبة » عند صيدح كلاما منمقا . او بيانا مزوقا . ولكنها روح تسرى . ودم يراق على جوانب الشرف الرفيع :

لم يبق فيكم من عروبتكم
الا لسان مفصح وفم :
ان العروبة — يا بلابلها —
روح على كف الفتى ودم ...

وفكرة « العروبة » هى الاطار الرحب الوسيع الذى تعمل فيه مواهب الشاعر جورج صيدح وامكانياته . وتنقش فيه آماله . ولكنه — مع رحابه ذلك الاطار — لا ينسى وطنه سورية ، ولا ينسى مدينته دمشق التى ولد فيها سنة ١٨٩٣ ، ولا ينسى نهر بردى بمياهه وذكرياته العذاب فيقول من قصيدة بعنوان «سوريا»

سوريا أمة سل المجد عنها
يجب المجد انت تسأل عنى
أنا فيها سماؤها ونراها
والهواء الذى تنشق منى ...
أنا تاريخها الذى كتبته
برءوس القنا ، واطراف لسن

ويقول من قصيدة بعنوان « بردى »

دمشق أعرفها بالقبة ارتفعت
بالمرجة انبسطت ، بالشاطىء ابتردا
بالطيب يعبق فى الوادى واطيبه
فى تربة الارض غذاها دم الشهدا

ولكنه لا ينسى اية بقعة من بقاع العروبة ، وخاصة اذا كان له فيها ذكريات ، ولقد أقام فى « القاهرة »

مغتربا ـ استغفر الله بل أخا كريما بين اخوان ـ من سنه ١٩١١ الى سنة ١٩٢٥ ، اى قبل رحلتـه الى العالم الجديد بسنتين . فلم تنسه السنون الطوال مصر ولا ذكرياته الغوالى فيها ، فقال فى سنه ١٩٤٨ قصيده بعنوان لبيك يا مصر ، يقول فيها

لبيك يا مصر ! قد ناديت ذا مقة
لا يذكر النيل الا والحشا صادى
كنت الضحى فى حياتى بعد ما طلعت
من غوطة الشام فجرا فى سما الضاد
ما انت فى شرعة الاحباب « قاهرة »
بل انت قاهرة المستأسد العادى
فى تربك الطهر ذوبت الشباب فهل
زكا على الروض بعدى زهر أكباد ؟
لا تجحدى يا نخيلات الصعيد دمى
والطلع نور بفرصاد ...

اخشى ان يطول بنا نفس الحديث عن جورج صيدح فى مجال محدود . ولكن لابد أن نذكر على عجل انه ولد فى دمشق وتعلم بها ، ثم أتم تعليمه بمدرسة عينطورا بلبنان ، وكان الاخطل الصغير « بشارة الخورى » ينشر له شعره فى جريدته « البرق » وهو طالب فى العقد الثانى من العمر. وكان نصيب « فنزويلا » من صيدح عشرين عاما قضاها فى الصفق بالاسواق والبيع والشراء ، كما كان نصيب « الارجنتين » منه خمسة اعوام كان آخرها سنة ١٩٥٢ ، ومنذ ذلك الحين ظل يتنقل بين الشرق والغرب ، والقديم والجديد حتى القى عصا التسيار بمدينة بيروت سنة ١٩٥٤ . وبعد ذلك بقليل دعتـه الغربة التى الفها الى باريس فالقى فيها رحله حيث يطالعنا الى اليوم برسائله ،

وشعره الوفى الرصين. وحيث يظللنا على البعد بصداقته ومودته ومروءته النادرة

وله ديوان « النوافل » الذى طبع بالارجنتين سنة ١٩٤٧ وخصص ما يجمع من ثمنه لنصرة قضية فلسطين وقد علق الشاعر ايليا ابو ماضى فى مجلته « السمير » التى تصدر بالعربية فى «بروكلن» على تلك المأثرة بواحدة من يومياته عنوانها « شاعر يبذل الانفسين الروح والمال »

اما ديوانه « نبضات » فقد طبع فى باريس سنة ١٩٥٣ وزين بلوحات فنية بريشة الفنان العراقى جميل حمودى ..

وفى سنة ١٩٦٠ أصدرت دار مجلة شعر ببيروت ديوانا ضخما له بعنوان « حكاية مغترب » وجعل اهداءه « الى كل عربى اللسان والوجدان » .

وكان من اثر نكسة يونيو سنة ١٩٦٧ فى نفس صيدح ان أصدر ديوانه « شظايا حزيران » فى طبعتيه الاولى سنة ١٩٦٩ ، والثانية المزيدة سنة ١٩٧١

وفى سنة ١٩٧١ صدر له « شظايا أيلول » والبقية تأتى .

أما كتابه « أدبنا وادباؤنا فى المهاجر الامريكية » الذى صدرت طبعته الاولى فى القاهرة سنة ١٩٥٦ ، وطبعته الثالثة فى بيروت سنة ١٩٦٤ فهو يعد من أوثق وأمتع مصادرنا عن الادب العربى فى المهجر الامريكى الشمالى والجنوبى ، وفيه من تدقيق صديقنا صيدح وتعمقه وتتبعه للمسائل ، وخطراته اللماحة الذكية ، وخفة ظله ما يجعله عمدة لكل باحث فى تيارات الادب العربى فى العالم الجديد ..

باقة من اشعاره

ساعة التجريح

رفقا بها يا مبضع الجراح
شرحت قلب الوالد الملتاح
ان زدت ايلاما فضحت تجلدى
وجمعت بين صياحها وصياحى
والله لو اطلقت روحى لارتمت
تحت النصال تصدها بجراحى
هذى القطاة ، قصاصة من ريشها
تكفى اذا انتثرت لقص جناحى
ماذا جنت وهى العظيمة فى الربى
حتى تسام خسارة الاقداح ؟
بالامس مدت عنقها من وكنها
واليوم تشهد مدية الذباح
الياسمين الغض فى اكمامه
غبن النضارة اخذه بالراح
انا لا اخدشه بغير نواظرى
وبغير شم عبيره الفواح
مالي اراه على الخوان مجرحا
واكاد الثم انمل الجراح ؟ !

(*) نظمها الشاعر بمناسبة عملية جراحية عملت لابنته الوحيدة

ويحى ! دفعت الى المشـــــارط فلذة
كنت الضـــنين بهـــا على الارياح
صرعت من الآلام فى غيبـــــوبة
سكرت بها وانا الصريع الصـــاحى
قالوا غلوت بحبهـــا فأجبتهم :
ويل الشـجى من الخلى اللاحى !
النوح ان يثقل على اســـماعكم
صـــلوا لأجل نجاتها وصـــداحى

هى فرحة للوالدين وحيــــــدة
يتآسيـــان بهـــا على الاتراح
ان الذى اشفى على خوض الدجى
مثلى ليقـــدر قيمة المصباح . .
آمنت فى علم الطبـــيب ، وان فى
جرح الجسوم ســـلامة الارواح
رباه ! ســـدد كفه وســـلاحه
انى طرحت على يديه ســـلاحى !

حمائم لبنان

(نظمها محييا فرقة طرب لبنانية وفدت على الارجنتين)

حمائم لبنـــــان ! هـــل تذكرين
رفاقك بعـــد اغتـــراب الرفاق ؟
لـــكم ســـجعوا مثلمـــا تســـجعين
خلال الغصـــون ، حيـــال الســـواق
ســـألناك يا مرســـلات الحنين
اكان الحنـــــين نذير الفراق ؟
غدونا عشـــيرا ينـــاجى عشـــير
ونحن بـــواد وانت بـــواد

زجلنا الاغانى اليك نطير
وان الاغانى طيور الفؤاد . . .

***

حمائم لبنان ! مدى الهديل
جناحا . يمد اليه الجناح
شراعان كل يروض السبيل
الى موعد ضربته الرياح
سلى عنهما روغان الاصيل
وزهو الليالى . ونزو الصباح
اذا انطلقا كانطلاق الزفير
او التقيا كالتقاء الزناد
سرت خلجات الهوى فى الاثير
وعانق كل مناد مناد

***

حمائم لبنان هل من صدى
لاصواتنا فى سفوح الجبل ؟
صداك يجوب الينا المدى
رسول المقيم الى من رحل
هنا سربك النازح المفتدى
يحيى الرسول بدمع المقل
ويصغى الينا كمن يستجير
على البين بالنغم المستجاد
سلام على سامع فى الضمير
من المنشدين نداء البلاد . . .

ساعة الغروب

هنـــاك على مذبح الرابيـــــة   يـموت النهـــار
وفى هيكل الغابه الساجيـــة   شموع تنـــار

يجز الشعاع رءوس الشجر   فتجرى الدما
كان الاه الجمـــــال انتحر   ببـــاب السما

الام تشـبث كف الزوال ؟   بشعر القلل ؟
لقـــد سلمت هامهـــا للظلال   وضاع الامل !

ترى اتلاقت عيون البشـــــر   فـكان الشفق
وافضـــت بما فى القلوب استتر   فحل الغسق

اتشـــكل فى الارض ام ولد   بهـــذا المســـا
ومن صــــدرها يستمد الجلد   لهيب الاسى

افيهـــا فتـــــاة على عريهـــا   تسح الدموع
تحاذر تأكل من ثديهـــــــا   وان طال جوع ؟

ام انى الذى قد أعار الغروب   وشـــاح الالم
زفرت ، فشق زفيرى الدروب   وشـــف القمم

بلغت بعمرى مســـاء الحياة   فودعت شمسى
بمرثية تصـــــبغ الـــكائنات   بالوان نفسى

وفى البحر، فى منتهى البحر نار   كنار الهضاب
هى الشمس فى ساعة الاحتضار   تقاسى العذاب

وتســتخرج اليم هــل من مقر　　به تستريح ؟
اذا باديم العبــاب انشطر　　بحجم الضريح

ومد الذراع وئيــدا وئيــد　　الى فرعهــا
وزاد فهــدهدها بالنشيــد　　مدى نزعهــا

هوت كرة النور للهــاوية　　وطاب القرار !
فصــرت احن الى زاويه　　بقاع البحار . .

مصــير وردة

يا وردتى ! طرت كذات الجناح
ولم تعودى فى معاد الطيــور
رباه ! ســلطت عليهــا الرياح
فحومت فوق الربى والثغــور
وانطرحت كالعنــدليب الصــدى
فى صفحة المستنقع الاربد

***

وافيتهــا فى المــاء عند الغسق
وحولهــا الاقــذار طو ف يطو ف
كأنها بين الدياجى شــــفق
تناثرت من بردتيها شــــفوف
على عراء الافق الاســـــود
وعورة المســتنقع الاربد . . .

لهفى عليها ! ما اذل الاسير
آسره عبد دعى الحسب
رباه ! لو ألقيتها فى الغدير
لاحتضرت راقصة من طرب
بريئة من دنس المسند
فى حماة المستنقع الاربد . .

***

أى وردتى فى ثوبك الناصع
وحظك الفاحم ، هزؤ القدر
ما لى يد فى الكوكب الساطع
خلف الغيوم الخانقات استتر
ضاع سناه كالعبير الندى
منك على المستنقع الاربد . . .

***

سألت عنك الروض ، والروض نام
عن خطبك الفادح ملء الجفون
كأن ما كنت عروس الخزام
سيدة الازهار ، تاج الغصون
غابت عن الرائح والمغتدى
ذكراك فى المستنقع الاربد . . .

***

لو كنت شوكا ما غزتك الرياح
ولا ترامتك الذرى والسفوح
اذا استطالت غمزات الوقاح
اليك آبت كفه بالجروح . . .
مشربك السلسال فى الانجد
لا كدر المستنقع الاربد . . .

واختلج الماء لريب مزق
احشاءه من وشوشات النسيم
فابتلع الوردة الا العبق
منها تهادى فى خلايا السديم
كأنه روح لمستشهد
رف على المستنقع الاربد..

شكر الله الجر

على الرغم من ان قرية فتوح كسروان بلبنان هى الارض التى استقبل الوليد « شكر الله الجر » أول نسمات الحيـاة فيهـا فان « لوادى يحشوش » ـ مسقط راس الصحفى الكبير المرحوم «داود بركات» ـ تذكارات أدبية وروحية لا يمحوها الزمان فهناك فى هذا الوادي الجميل ، حيث مراشف الشفق الدامى تلتظى نورا ونارا

والنهر يفرش حولنـــا زبدا كمنتثر النضـــار
والشمس عند مدارج الـ افق البعيد بها اصفرار

هناك كان يجلس شيخ الصحافة العربيـــة داود بركات ، وحوله التلامذة والرفاق كأنهم تلامذة صغار، وهو يرسل الكلام جامعا بين الدعابة والوقار ... وفى هذه الحلقة الادبية الغالية كان الفتى شكر الله ..

اما قرية جبيل اللبنانية ـ حيث نهل الفتى شكرالله معارفه الابتدائية فى مدرســة الاخوة المريميين ـ فهى على صخرها بلد الذخائر والودائع ، وللعذارى فيهـا بعيونهن وبراقعهن السود ـ منذ أكثر من نصف قرن ـ اثر ظل باقيا فى نفس الشاعر وهو فى مهجره البعيد ، وقد أفصح عنه وهو ينشد قصيدة فى تكريم الشاعر القروى ... فهو فى البرازيل لم ينس الهوى فى لبنان :

وليالياً معسولة الذكرى ممطرة المضاجع
والشاطىء الوردي بين جوانح الاسحار هاجع
والموج دغدغ في الضفاف ملائكا جفت المخادع
والفجر كالزبد المفتح عن زنابقه النواصع

ولقد ظل وادي يحشوش يداعب خيال الشاعر في مغتربه ، فتراه يحن اليه ويذكره في ساعات اليأس قائلا

سلام على الوادي الذي قد اظلني
زمان الصبا أيام لم أعرف الكربا

وذهب الصبا بحلاوته ونضارته ، وترك الشاعر وطنه سنة ١٩١٩ (١) مهاجرا الى البرازيل ملتمسا الرزق عن طريق التجارة ، ولكن الصحافة اغوته ، ولعله تأثر في ذلك بقريبه داود بركات ، فأنشأ مجلة « الاندلس الجديدة » ، وبعدها أسس « الزنابق » . وظلت أمواج الحياة تراوح به وتفادى بين الصحافة والتجارة ، وهما عملان لم يمنعاه عن التغني على قيثارة الشعر ، فأخرج ديوان « الروافد » سنة ١٩٣٤ ، وديوان « زنابق الفجر » سنة ١٩٤٥ وقد غلب شعر الوطنية والحنين الى الوطن عند الشاعر شكر الله الجر الى حد أن ديوانه « الروافد » كاد يكون كله شعرا وطنيا محترق الانفاس . وعلى الرغم من ايمانه بأن شعر الوطنية يزول بزوال المناسبة التي قيل فيها ، وبأن شعر حافظ ابراهيم الوطني لن يبقى بقاء سائر

---

(١) نقلت تاريخ هجرة الشاعر الى البرازيل سنة ١٩١٩ من الاستاذ جورج صيدح وغيره ، ولكن شكر الله الجر نفسه صحح ذلك في مقال له جيد جداً بعنوان « حقائق حول القضية الاندلسية » منشور بمجلة الضاد الحلبية عدد ٩ ، ١٠ سنة ١٩٦٩ صفحة ٤٣٦ ، وذكر فيه أنه هاجر سنة ١٩٢٣ وهو القول الفصل وقد ذكر يعقوب العودات هذا التاريخ صحيحا في كتابه « الناطقون بالضاد »

اشعاره ، فانه جمع فى « الروافد » قصائده الوطنية التى لا تخلو من صور فنية ، ولوحات رائعة لطبيعة الوطن وارضه وسمائه .

ولا يخلو شعر شكر الله الجر من المناسبات العامة والخاصة ، فهو تارة يشترك فى تكريم شاعر بقصيدة ، وطورا يهنىء أحد رجال السلك السياسى المصرى ويكرمه مع الجالية العربية فى البرازيل ... الا ان الرثاء يكثر فى ديوانه ولعل حافظ ابراهيم لم ينفرد بكثرة المراثى حين قال

اذا تصفحت ديوانى لتقرانى
وجدت شعر المراثى نصف ديوانى

فان ديوان شكر الله تكثر فيه مرثياته للملك حسين والشاعر فوزى المعلوف ، والاديب طانيوس عبده ، وسعد زغلول ، وجبران خليل جبران ، وداود بركات رئيس تحرير الاهرام وغيرهم

ولقد أحسن الشاعر وصف طبيعة لبنان حين ذكره مهاجرا ، كما أحسن وصف الطبيعة فى امريكا الجنوبية ، فهو وصف يدل على مزج الحس بالشعور ، وتحويل المشاهد الى انفعالات وانطباعات حية ، كما فعل فى قصيدته «شلال تيجوكا» ، التى لم نجدها فى ديوانه ، ولكنا نقلناها عن مجلة المقتطف « جزء ابريل سنة ١٩٣٢ » .

والشاعر من دعاة التجديد ، لا فى الادب وحده ، ولكن فى حياة الامة الاجتماعية ، وقد كان له راى المؤيد فى حركة التجديد التى قام بها « أمان الله » فى افغانستان ، الا ان الشاعر اللبنانى البليغ « أمين ناصر الدين » اتخذ موقف المعارض من هذه الحركة ، وقامت بين الشاعرين مناظرة شعرية حادة فى صحيفتى

« الصفاء » و « البريد » اللبنانيتين فى اغسطس سنة ١٩٢٨ .

وعلى الرغم من روح التجديد عند الشاعر «الجر» فانك تلمح على شعره آثار المحاكاة ، وخاصة قصيدته « المنطاد زبلن فى سماء ريودى جانيرو » فقد تأثر فيها بقصيدة شوقى فى الطيارين الفرنسيين « فدرين » و « بونيه » التى يقول فيها

يا فرنسا نلت اسباب السماء
وتملكت مقاليد الجواء

فقد حاكاه فيها حتى فى الوزن والقافية ! وفيها يقول شكر الله الجر

ارايت الحوت فى عرض الفضا
هاويا من بين ابراج السماء ؟

وحوت شكر الله الجر هنا هو « حوت » الشاعر شوقى الذى يقول

أو كحوت يرتمى الموج به
سابح بين ظهور وخفاء

ويظهر أن الشاعر شكر الله الجر قد مل الغربة عن وطنه اربعين عاما ، فودع ارض مهاجره فى البرازيل سنة ١٩٦٢ الى قريته بحشوش ، حيث تفرغ للشعر والكتابة ، فانجز ديوانين هما « اغانى الليل » و « أضواء على الحياة » ، ونشر فى مجلة الاديب سلسلة من التراجم لبعض المظلومين من شعراء المهجر ، وكان احد الكتاب اللامعين والشعراء الفحول فى مجلة « الضاد » الحلبية التى يصدرها أخونا الشاعر عبد الله يوركي حلاق روضة من رياض الادب العربى الحديث

الحديقة

غدا ستعرى بنان الخريف
افانين اشجارك الزاهرة
وتنثر كف الشتاء هباء
بقايا وريقاتك الناضرة
وتحجب عنك تفور النجوم
غمائم فى افقها سائرة
ويغشاك عند الصباح الضباب
غدا ستلملم عنك الطيور
الجناح الى اربع قاصية
فلا ما يزقزق فوق الغصون
ولا ما يرف على الساقية
بلى قد يمر عليك الغراب
وينعب فى الدوحة العارية
وبعض النعيب نذير الخراب !
سيجفو ظلالك اهل الهوى
وتحتلك الوحشة المرعبة
فلا تسمعين خفوق القلوب
ولا رنة القبل المطربة !
ولا تلمحين بنان الحسان
تداعب أثمارك الطيبة !
فهل تحسبين لهذا حساب

لئن يحزننك ان الخريف
غدا سيبدل من نضرتك
فسوف يعيد اليك الربيع
عريس الزمان سنا بهجتك

فيرقص طيرك فوق الغصون
ويستضحك النور فى وجنتك
ويجرى بعودك ماء الشباب
واسكن قلبى كما تعهدين
تكر فصول ، وتأتى فصول

وكل الفصول لديه خريف
وكل الليالى شتاء طويل
فماذا ارجى وقد جف فيه
معين الشباب ، وعاث الذبول
بزهر الامانى فأمسي تراب ؟

قشور ولباب

اترى الاشجار تدرى انها كانت بذورا ؟
ام ترى الاثمار تدرى انها كانت زهورا ؟
ليس عند الارض علم انها كانت ضباب
لا ولا الابريز يدرى أنه كان تراب

كل ما خلناه قشرا صار فى الارض لباب
اترى الارواح تمشى جوهرا خلف التراب
ان أمر البعث سر كائن خلف الوجود
ووجود المرء غصن جذعه تحت اللحود

الشاعر التائه

ألا أيها الماشي على الارض ذاهلا
تدور كأسراب الفراش على الزهر
يداك على قلب الزمان واهله
ورجلاك من نجم الدجى فوق منبر (١)
جناحك في الآفاق يمسح شمها
وظلك يجري كالسفينة في البحر
فديتك ! هل تبقى مدى العمر تائها
تطل على فجر ، وتغرب عن فجر ؟

قالت وقلت

قالت الام الهوى والكأس والوتر
ولي شبابك لا زهر ولا ثمر !
فقلت ما هم ان شمس الصبا غربت
اذ طالما من شباب الروح لي قمر
ان مات في الروض صداح يظل على
مباسم الورد من افلاذه نشر
كم عرت الريح غصنا من أزاهره
وظل يسكر من اطيابها السحر
حتى العيون اذا ما الكحل فارقها
يبقى بأهدابها من ظله اثر !
ان الربيع وان اذوت نضارته
عند الفراشات من الوانه صور

(١) كذا بالاصل وهو من غير وزن بقية المقطوعة

فهرس

صفحة

الفصل الاول : شعراء المهجر الشمالى

ايليا أبو ماضى 8
ميخائيل نعيمة ٢٩
نسيب عريضة ٤٢
رشيد أيوب ٥١
جبران خليل جبران ٥٦
مسعود سماحة ٦٥
محبوب الخورى الشرتونى ٧٢
احمد زكى أبو شادى ٨٠

الفصل الثانى : شعراء المهجر الجنوبى

الياس فرحات ٩٢
الشاعر القروى ١١٨
ابناء المعلوف : فوزى ـ شفيق ـ رياض ١٣٤
جورج صيدح ١٥٧
شكر الله الجر ١٧١

وكلاء اشتراكات مجلات دار [illegible]

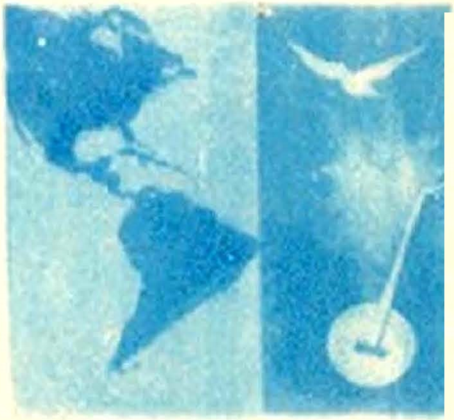
جدة ـ ص . ب رقم ٤٩٣
السيد هاشم علي نحاس
المملكة العربية السعودية

انجلترا :

THE ARABIC PUBLICATIONS
7, Biskopsthrope Road
London S.E. 26
ENGLAND.

البرازيل

Sr. Miguel Maccul Cury
R. 25 de Março 991
Caixa Postal 7106
São Paulo, BRASIL.



هذا الكتاب

نعيش فى هذا الكتاب مع بضعة عشر شاعرا عربيا من شعراء المهجر الامريكى الشمالى والجنوبى . ونعيش مع أشعارهم التى سجلوا فيها أرق وأعذب ما سجله الشعر العربى الحديث ، منذ وطئت اقدام هؤلاء النازحين الماهدين أرض العالم الجديد ، فجعلوا منه أندلسا جديدة ، ولم ينعزلوا فى عالمهم النائى الغريب عن أرض وطنهم العربى ، لغة وعادات وتقاليد . ولم يسمحوا للبيئة الجديدة أن تذيبهم .. بل أخذوا ـ بين متاعب الهجرة ، ومواجع الغربة ـ يغنون أحزانهم وأفراحهم ، وأحاسيسهم ، ومشاعرهم ، ومواجدهم . وزودتهم البيئة الجديدة بأفكار جديدة ، والهامات جديدة ، وعبارات جديدة . وظلوا ينظمون بالعربية لها كيانا فى أرض غير أرضها ، وتربة غير تربتها ، وبين ألسنة ورطانات غريبة عليهم . وزادهم الحس العربى المرهف امعانا فى الشدو على الوتر العربى ...

١٠ قروش